الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات الأدبية واللغوية

مصطلحا التخييل والتمثيل وأثرهما في تأصيل الدرس البلاغي
(تفسير الكشّاف للزمخشري أنموذجا)

مذكرة تخرّج مقدمة لنيل شهادة الماستر
في تخصص اللسانيات العربية

*إعداد الطالب:
- لكريد أحمد.

* إشراف الأستاذ الدكتور
نور الدين دحماني.

أ. د. نور الدين دحماني
أستاذ التعليم العالي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم

السنة الجامعية:
2024-2023

Scanné avec CamScanner

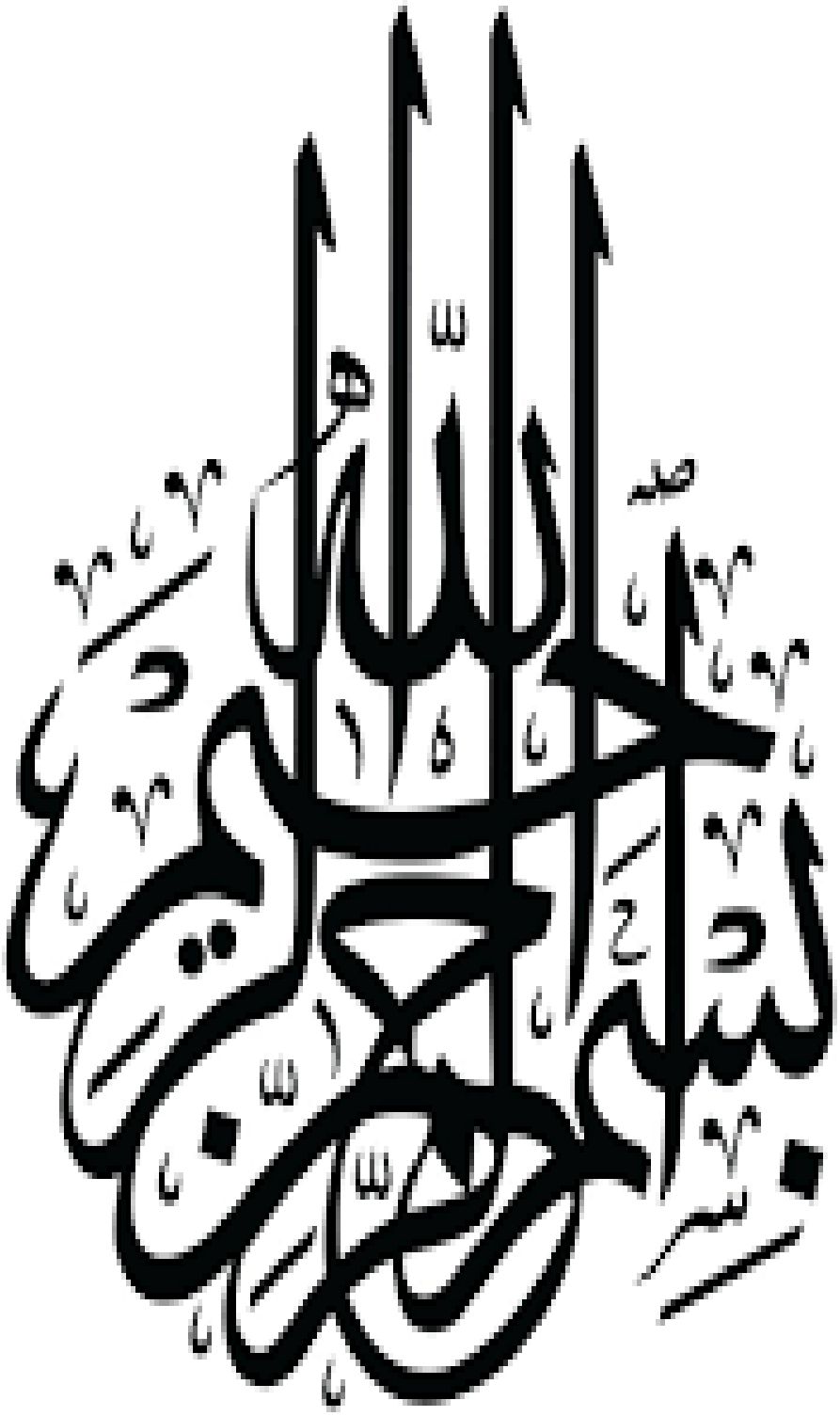
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتقدم بخالص الشكر و التقدير للأستاذ الدكتور دحماني نور الدين، الذي كان لي مُشرفًا وناصحًا وموجهًا ومحفزًا، والذي أنار دربي بشموع العلم كي أُوفّقَ في دراسة هذا الموضوع.

شكرا أستاذي على صبرك ودعمك النّفسي لإتمام هذه المذكرة بأبهى صورة،

والحمد لله حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه،

الشكر لك أستاذي على أن مهّدت لي طريق العلم و المعرفة ولم تبخل عليّ بتوجيهاتك و نصائحك طيلة مشوار بحثي.

شكرًا لكل من تعلم القرآنو علّمه.

إهداء:

إلى من همست في أذني ذات يوم، "انهض لتكمل دراستك فمستقبلنا بين يديك"

إلى من لم تعرف المدرسة يومًا و لكنّها آمنت بقدراتي وشحذت همّتي،

إلى من تُخلص لي الدعاء، حاضرًا كنتُ أم غائبًا،

إلى ذات الحروف الأربع، إلى أمي الغالية.

إلى من اقترض مالاً و ألبسنا، إلى من كان يسافر ويضحي ليُطعمنا، إلى من بكى خفيةً ليضحكنا،

إلى من صفقّ لي في الابتدائي وحضر، وعذلني في الاكمالي ونهر، وشجّعني وهنّأني في الثانوي وشكر، إلى أبي العزيز.

إلى حسنة الدنيا، إلى المرأة المؤمنة الصابرة، إلى زوجتيوقرّة عيني وأم ابنتي.

إلى الزملاء سواليلي، قدّار، عقبوبي، حميتي، خويدمي، بن شني، جغذم، وقدور باشا، وكل الزميلات في الدفعة.

مقدمـــة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وألهمه أسرار التعبير وأوجد الإبداع والإتقان، وتصرفات الكلام البالغة، وصلى الله على سيدنا محمد العربي الأمين، المتميزوعلى الخلق كافة بجوامع الكلم وجميل القول وذرابة اللسان، استمد ذلك كله من فيوض الحكمة التي أودعها فيه الرحمان مُنزل القرآن، أما بعد.

تُعتبر البلاغةمجالاً مثيرًا للاهتمام، مفيدًا لفهم اللغة وعلومها، وتعزيز مهارات التواصل والإقناع، وتكمنُ أهميتها في استخدام اللغة بشكل فني وجمالي، وهي من أهم فروع علوم اللغة العربية ببيانها، ومعانيها وبديعها، ولا ينفصل المصطلح البلاغي عن البلاغة، بل يعتبر الوسيلة المُثلى للتعبير عنها، وجزءً أساسيا يسهم في تطويرها وتحسينها، بل لكل علم من علوم اللغة مصطلحاته الخاصة به، فكما للنحومصطلحات خاصة، فعلم العَروض أيضا له مصطلحاته، ومازال هذا الموضوع بحاجة لمزيد من البحث النظري والتطبيقي، ويظهر هذا في كثرة المصطلحات البلاغية قياسًا على مصطلحات بقية علوم العربية الأخرى، كالنحوالصرف، فمثلاً مصطلحات علم المعاني ليست نفسها مصطلحات علم البيان، ومصطلحات علم البيان ليست نفسها مصطلحات علم البديع، ويرجع سبب ذلك إلى جعل أقسام النوع الواحد من المصطلح البلاغي أقسامًا مستقلة، وجعل الأغراض والعلاقات كذلك، والتنافس في اختراع أنواع جديدة، ومسالة الحسن والبراعة، وكثرة التفريع والتقسيم.

وللمصطلح البلاغي دور كبير في علم التفسير، فكي تغوص في أعماق ومكنونات معاني القرآن، وجب عليك الغوص أولاً في علوم اللغة وعلى رأسها

علم البلاغة والبيان، علمًا أنه من أهداف دراسة البلاغة، فهم معاني القرآن الكريم، بالإضافة إلى العلوم الأخرى كالتاريخ وعلم القراءات، وأصول الفقه والأحاديث النبوية.

ويندرج موضوع المصطلح البلاغي ضمن الاهتمامات التي أحاول أن أركز عليها، وخاصةً في التفاسير، مُقتصرًا على تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،" لجار الله الزمخشري"، حيث ارتأيتُ أن يكون عنوان بحثي هو:**"مصطلحا التّخييل والتمثيل وأثرهما في تأصيل الدرس البلاغي، الكشّاف للزمخشري نموذجًا."**

وحاولتُ عبر مراحل البحث أن أدرسَ وأُحللَ بعض النماذج من التخييل والتمثيل التي أتى بها الزمخشري في كتابه، ومن هنا طرحت الإشكالية التالية:

ما هوالتخييل؟ وما هوالتمثيل؟ وهل مفهوم هذين المصطلحين عند الزمخشري هوالمفهوم نفسه عند غيره ممّن وقفوا عليهما؟

كيف وظّ فهما الزمخشري في كتابه، وهل التمثيل هوالتشبيه في نظره؟

هل وُظّف هذان المصطلحان في علم التفسير قبل الزمخشري؟

ومن الدراسات السابقة التي اهتمت بموضوع المصطلح البلاغي نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب.

- قضايا المصطلح البلاغي كثرته، تعدده، اشتراكه، صياغته، لمحمد بن علي الصامل.

- إشكالية المصطلح البلاغي في التراث العربي القديم، الدكتور شادي عبد الرشيد.

ومن أهداف البحث، ترسيخ الوعي بدراسات تخص المصطلح والاهتمام به، وتوجيه العناية إلى أهمية المصطلحات المتخصصة.

وللإجابةعن التّساؤلات، اتّبعتُ خطة بحث تمثلت في مدخل وفصلين، وذيلناه بخاتمة؛ المدخلحاولتُ فيه أن ألم بموضوع البلاغة من خلال الماهية والوظيفة، والأهمية، ثم الفصل الأول وهوالجانب النظري الذّ ي خصصته لضبط المصطلحات والمفاهيم:المصطلح البلاغي، الشاهد اللغوي، التفسير، التخييل والتمثيل.

ولتسليط الضوء على المصطلح البلاغي، أخذنا عينة من تفسيرات القدامى والمعاصرين، أمثال "البيضاوي، فخر الدين الرازي، الطاهر بن عاشور ومحمود متولي الشعراوي".

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيًا،تطرقتُ فيه لدراسة تحليلية نموذجية لبعض مواضع التخييل والتمثيل التي وظّ فها الزمخشري في كتابه الكشاف، ومقارنتها بتفسيرات أخرى كتفسير القرطبي، الطبري، بن كثير والطاهر بن عاشور.

وكانت الخاتمة عبارة عن حوصلة لما تمّ عرضه في الفصلين، وفق ما جاء من افتراضات في مقدمة البحث.

والعينة التفسيرية التي اخترتها، حاولت أن أنوع فيها للإحاطةبمادة المصطلح حسب مقاصد القرآن ودلالاته وأقسامه، فاعتمدتُ على المنهج

التاريخي في الجانب النّظري، من خلال الوقوف على المصطلح البلاغي بين القدامى والمعاصرين، والمنهج الوصفي التحليلي التفسيري في الجانب التطبيقي، وذلك لطبيعة الموضوع المدروس، من خلال دراسة عينة من المصطلحات المراد الوقوف عليها عند الزمخشري.

وقد تطلّب هذا البحث الاستناد على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

الكشّاف لجار الله الزمخشري.

-أسرار البلاغة للجرجاني.

-معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب.

وككل بحث، فإنّه لا يخلومن الصعوبات أذكر منها:كون التفاسير ليس من السهل طرقها، والولوج فيها يلزم الإلمام بعلوم اللغة وعلم القراءات والتاريخ والأحاديث، بالإضافة إلى طبيعة الموضوع في حد ذاته تتطلب أن يكون الباحث مُبحرًا في أمهات الكتب التي تخدم الموضوع، وأخذ الوقت الكافي لذلك.

وأسأل الله أن يوفقني، وأن يلق ما كتبت القبول الحسن فهوولي التوفيق، ولا يفوتني توجيه الشكر للأستاذ المشرف الدكتور "دحماني نور الدين" على مساندته في اعداد المذكرة، كما لا أنسى تقديم الشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة قبولهم مناقشة هذا البحثوتجشّم عناء تقويمها.

مدخـل: ماهية البلاغة العربية، وظيفتها، وقضاياها.

اشتهر العرب في الجاهلية بفصاحة اللسان وجمال التعبير، بالإضافة إلى الإيجاز والبعد عن الحشووالإطالة في الكلام الذي لا فائدة منه.وهذا لم يكن نتيجة علمٍ درسوه أوقواعدٍ يسيرون عليها،إنّما هذا كان طبع فيهم.

وقد تطورت البلاغة عبد العصور، إلى أن وصلت بمفهومها الجديد في عصرنا الحالي، بمصطلحاتٍ أسهمت في ضبط المصطلح البلاغي مثل التخييل والتمثيل والتّوهيم والتصوير...

فمن المسلم به أنّ البلاغة بوصفها علمًا ذقوانين لم يكن كذلك دفعةً واحدة، بل كانت شذرات متفرقة ولؤلؤا منشورا هنا وهناك،حتّى أصبحت في وقتنا باسقة الضلال ومُمتدة الجذور عبد العصور.

"فالبلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة،فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الإسماع، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج،ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون شعرا،ومنها ما يكون سجعا وخطبًا، والإيجاز هوالبلاغة ".[1]

فتعريف بن المقفع للبلاغة هنا حسب الكاتب شوقي ضيف "1910م-2005م " هوتعريف ركّز فيه على عدة أمور تخدم البلاغة شعرًا أونثرًا،إذا أعطيتَ المقام حقه.

[1]،شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ (تعريف البلاغة عند بن المقفع)، دار المعارف، كورنيش النيل القاهرة ط9، ص22

وكما قسّم علماء اللغة البلاغة إلى ثلاثة علوم، بيانبديع، ومعانٍ، يرى "علي بن عيسى الرماني (م386)، وهوأحد أعلام المعتزلة، أنّ البلاغة على ثلاث طبقات:عليا ووسطى ودنيا، وذكر ذلك في كتابهالنّكت في إعجاز القرآن قائلاً : "...والعليا هي بلاغة القرآن،والوسطى والدنيا بلاغة البلغاء حسب تفاوتهم في البلاغة..." [1]

ويضيف أيضًا:"البلاغة على عشرة أقسام هي: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم، والفواصل، التجانس، والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان ..."[2]

ومن خلال ما سبق ذكرهيتجلى لنا أنّ " الرماني"، قد وقف على البلاغة من حيث الطبقات، ومن حيث الأقسام، مُرتكزا في ذلك على أمثلة من القرآن الكريم وأشعار العرب.

وقد نجح هؤلاء الأدباء وعلماء اللغة في تذوق الأدب وفهمه إفهاما دقيقا لا يقف عن تصورات المعنى العام للنص الأدبي بل يتجاوزه إلى معرفة الخصائص والمزايا الفنية للنص،وعندما نفتش في المورث التعليمي لقضايا البلاغة العربية ووظيفتها، لا يمكن أن نتجاوز من كان له الدور الرائد في تنظيم المعرفة البلاغية وسن قوانينها ونُظمها العامة،ألا وهوأبوهلال العسكري م(395ه).

[1] الرمانيأبي الحسن علي بن عيسى،النكت في إعجاز القرآن،عني بتصحيحه الدكتور عبدالعليم مكتبة الجامعة الملية الاسلامية دهلي 1934، ص3

[2] المصدر نفسه ص 3

وهذا ما يُقرّره في مقدمة كتابه (الصناعتين)أنّ أحقّ العلوم بالتّعلم، أولها بالتّحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، حيث يرى أن أكبر كتب البلاغة هوالبيان والتبيين للجاحظ (868م)"[1]

وقد أوضح "أبوهلال العسكري" أهمية دراسة البلاغة، ودليله على ذلك كتب الجاحظ، خاصة كتاب البيان والتبيين.

وعلى الرغم من تطور المناهج وطرق التدريس واستحداث مقاربات جديدة تعتمد على البعد الوظيفي المقرر في الوثائق الرسمية والمفتوحة للأساتذة للاستئناس بها، إلاّ أنّ الدرس البلاغي القديم بقي يمارس سلطته في التعليمولم يتخلص من نمطية معهودة مكرسة، وإن اختلفت الواجهة أوالملامح فالمضمون النمطي حاضر مشخصا في هذه الطرق الموظفة حاليا شكلا ومضمونًا، فالبلاغة أصبحت لا تمارس بل تلقن، فسرعان ما ينقضي ويزول أثر هذا التلقين إذا ما أراد ممارسة العملية النقدية، لذلك تطرح منهجية حديثة في تدريس البلاغة، تسمى بالبلاغة الجديدة التي تُعرف عن الديداكتيين بالبلاغة الإنتاجية التي تمكن الطالب من تمرس وتذوق فنون البيان وتفعيله تفعيلا دامجًا.

ومن هنا وجب على دارس البلاغة فهم النصوص الأدبية والربط بين الوحدات البلاغية والتدريب المستمر،والاعتماد على ضبط وتحديد وفهم المصطلح البلاغي والشاهد البلاغي الذي لا تحده حدود لا في نوعه ولا في زمن الاحتجاج به ولا في طريقة تحليله،لأنّ الهدف هوتربية الذوق.

[1]الدكتور عبد اللطيف حني: طرق تعليمية علوم البلاغة وأثرها في المهارات اللغوية للمتعلم بين الواقع والمأمول - جامعة الشاذلي بن جديد الطارف - الجزائر ص 19

الفصل الأول:

ضبط المصطلحات والمفاهيم

- ✓ المصطلح البلاغي بين القدامى والمعاصرين.
- ✓ الشاهد اللغوي.
- ✓ المصطلح البلاغي لغة واصطلاحا.
- ✓ التفسير.
- ✓ نبذة عن المفسرين القدامى والمعاصرين وأمثلة عن تفسيراتهم.
- ✓ مصطلحا التخييل و التمثيل.

*** تمهيد:**

للمصطلحات الأدبية أهمية كبيرة في ضبط دلالات الألفاظ وتحديدها، والدفع بوتيرة الآداب على امتلاك لغات خاصة بها، لذلك اعتنى بها العلماء قديما وحديثا، فبلغت اللغة العربية بآدابها المتنوعة منزلة مميزة ووصلت إلى قمة التطور والمرونة في التعبير عن كل المستجدات الأدبية.

*** المبحث الأول: المصطلح البلاغي بين القدامى والمعاصرين:**

إنّ للمصطلح دور كبير في حياة الناس، فهوينظم التواصل فيما بينهم في شتى ميادين العلوم والفنون، ولا يمكن تخيل وجود علم بدون مصطلحاته التي تنظم مفاهيمه، فالمصطلحات أصبحت جزءا مهما من المنهج العلمي، فهي تستحضر المعنى بأيسر وسيلة.

"وتصل أهمية المصطلح إلى أن الباحث يستطيع أن يقيس تقدم الأمة حضاريًا، ويُحدد ملامح ثقافتها عقيدةً وفكرًا، بإحصاء مصطلحاتها ومعرفة مدلولاتها، بل يستطيع أن يقطع بوحدة الأمّة الفكرية والسياسية من وحدة مصطلحاتها اللغوية في الإنسانيات والعلوم والتقنيات".[1]

لذا فإن الأهمية التي يأخذها المصطلح الأدبي تكمن في قدرته على توضيح المفاهيم الأدبية الجديدة، التي تساعد على إثراء اللغة العربية وتوسيع ميادينها وتنمية معارفهاولم يغفل العرب هذه الأهمية فقاموا بوضع دراساتهم بلُغة

[1] فايزة دفاس، عبد القاهر الجرجاني،المصطلح البلاغي في أسرار البلاغة،مذكرة تخرج ماستر 2015،جامعة محمد الصديق بن يحيى،جيجل،الجزائر،اشراف الأستاذ حسن زرمان.ص19

علمية دقيقة مضبوطة، فعن طريق المصطلحات تصل إلى فهم العلوم واستيعابها وأسس التواصل في مجتمع المعلومات.[1]

وقد أكّد العلماء القدامى على الأهمية البالغة للمصطلحات في اكتساب وضبط المعرفة واعتبارها السبيل الأيسر لفهمها فقال القلقشندي (ت 821 ه) في كتابه صبح الأعشى " بعلى أنّ معرفة المصطلح هي اللازم المحتم والمهم المقدم لعموم الحاجة إليه واقتصار القاصر عليه.[2]

فمعرفة المصطلح الأدبي ضرورة ملحة إذ لا يمكن الاستغناء عنه أوإغفال أهميته بأي شكل من الأشكال.وتطور الدرس البلاغي مع تطور البلاغة، وكانت الكتب الخاصة بالإعجاز هي النواة الأولى التي أسهمت في نشأة علم البلاغة وتطوره وازدهاره، حتى أصبح علما قائما بذاته، ومع تطور العلوم في القرن الثالث الهجري ظهر العديد من العلماء البارزين الذين كان لهم فضل كبير في تطور علم البلاغة والإهتمام بالدرس البلاغي، لعل من أبرزهم الجاحظ

(255هـ)، الذي جمعت كتبه كثيرا من القضايا والمصطلحات البلاغية، منها كتاب البيان والتبيين وجاء بعد الجاحظ عبد الله بن المعتز (296 هـ) الذي استفاد من جهود السابقين، وأضاف مفاهيم كثيرة لهذا العلم في كتابه البديع.[3]

وبعد هذا نجد طائفة من العلماء الذين قاموا بمحاولات تذكر من بينها "نقد الشعر لقدامة بن جعفر(ت 337هـ) والنكت في إعجاز القرآن للرماني

[1]مرجع مذكور سابقا (فايزة دفاس) ،ص20
[22]مرجع مذكور سابقا (فايزة دفاس) ص21.
[3]،شفيع السيد،البحث البلاغي عند العرب،دار الفكر العربية الإسكندرية، مصر، ص 14.

(ت384هـ) وكتاب "إعجاز القرآن" للخطابي (ت387هـ) وكتاب "الصناعتين" لأبي هلال العسكري.

وإذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجري فإننا نلتقي بمجموعة من خيرة العلماء الذين أثروا الدرس البلاغي ومن أبرز هؤلاء ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ) صاحب كتاب "العمدة".وقد شهد هذا القرن ازدهارا بلاغيا واضحا ونضعها في التأليف البلاغي على يد عبد القادر الجرجاني (ت 473هـ) وكانكتاباه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" بمثابة فتح جديد في تاريخ التأليف البلاغي.[1]

وفي القرن السادس الهجري ظهر جار الله محمود بن عمر الزمخشري (538هـ) فألّ ف تفسيره المشهور الذي أسماه "بلكشّ اف"، وطقّ فيه نظرية النّ ظم تطبيقا عمليا، وفرّق في الكتاب بين علم المعاني وعلم البيان، وبدأ علمالبلاغة يتأثر بالمنطق اليوناني مع مجيء أبي يعقوب السكاكي (626هـ) في القرن السابع الهجري، وظهر ذلك في كتابه المشهور "مفتاح العلوم.

وبعد هذه الفترة اتّ جه علماء البلاغة إلى الشروح والتعليقات حول كتاب مفتاح العلوم" ومن بين تلك التلخيصات كتاب "تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (739هـ).[2]

وبهذا لم يخرج البلاغيون المتأخرون عما انتهى إليه القزويني فكانت معظم كتبهم ومؤلفاتهم مجرد شروح وتكرارات لما جاء به القزويني، وممّا سبق

[1] بن عيسى بالطاهر:البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات،دار الكتاب الجديدة، ط1، 2008، ص 11، 12
[2] السيد أحمد هاشمي:مقدمة جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ت يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 1990ص11

يمكن القول أنّ الدرس البلاغي العربي مرّ بمراحل عديدة كانت بدايتها في شكل ملاحظات فنية نقدية غير معللة وانتهت في شكل علم واضح المعالم متعدد الأقسام، وذلك بعد تضافر جهود مجموعة من العلماء الذين أثروا البلاغة العربية بآراء ومواقف سديدة وكتب ومؤلفات متنوعة ومتميزة.

*** المبحث الثاني: الشاهد اللغوي لغة واصطلاحا.**

يعتبر الشاهد اللغوي من الأدوات الرئيسية التي يعتمد عليها اللغويون والباحثون في دراسة اللغة وتطورها، حيث يساهم في تفسير التغيرات التي تطرأ على اللغة،وبالتالي يمكن القول أن الشاهد اللغوي يلعب دورا حيويا في فهم وتحليل اللغة، ويسهم في تطويرها وصقل مفهومها من خلال دراسة عناصرها المختلفة وتحليل استخداماتها في سياقات مختلفة.

الشواهد اللغوية تساعد في تحديد المعاني المختلفة وتوضيح العلاقة بين الكلمات في النص.

بالاعتماد على الشواهد اللغوية يمكن تفسير الألفاظ والجمل بشكل صحيح،

وبالتالي فهم المعنى العام للنص والتمتع بتجربة قراءة أكثر إثراء وتفصيل.

1- **الشاهد لغة:**الشاهد شهيد ويجمع على شهداء، الشاهد اللسان أوالملك والعالم الذي يبين علمه.

والشهادة: خير قاطع، واستشهد سأله أن يشهد".[1]

[1]يحيى عبد الرؤوف جبر، مجلة الأبحاث للنجاح - المجلد 2،الشواهد اللغوية، 1992 / ص 256.

ورد في أساس البلاغة "للزمخشري" :" شهدته وشاهدته، وشوهدت منه حال جميلة ومجلس مشهود وكلمته على رؤوس الشهود وهم شهودي وشهدائي،والله يشهد لي، ولا أستشهده كاذبا،وهومن أهل المشهد والمشاهد...".[1]

وعليه فالشاهد في اللغة يقصد به الحاضر لا الغائب،والحضور دليل الوجوه والأثر والهوية، يملك ثقلا إذا تعلق الأمر بتمييز الجيد من الرديء، أويعتقد عليه في تبرير موقف ما.

2- الشاهد اصطلاحا:هوقولعربي شعرًا أونثرا قيل في عصرالاحتجاج،وهوبعبارة أخرى: " جملة من كلام العرب أوما جرى مجران،كالقرآن الكريم، تتسم بمواصفات معينة "...تقوم دليلا م استخدام العرب لفظا أومعنى أونسقا في نظم أوكلام ".[2]

وعليه فإن الشاهد اصطلاحا هوما يؤتى به من الكلام العربي الفصيح ليشهد بصحة نية لفظ أوصيغة أوعبارة أودلالة إلى العربية، وللشواهد في العربية أهمية بالغة.

"لا أحد يشك في مكان الشاهد في العلوم العربية، وذلك أن الشاهد يعد العصب لها في مرحلة التنظير، وهوالمادة في مرحلة التطبيق.

والشواهد لا يقف تأثيرها عند هذا الحد،بل إنها لتكون تراثا حضريا للأمة ولا يمكن التفريط فيها، فضلا عن تجاهلها.

---

[1] الزمخشري " أبوالقاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة - تح عبدالكريم محمود دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت 1979.ص243

[2] يحيى بن حمزة العلوي: مجلة تاريخ العلوم،العدد الرابع، الشاهد البلاغي في كتاب الإيجاز، جامعة عنابة الجزائر،ص72.

لأنه مرتبط بثقافة هذه الأمة ارتباطا وثيقا من وقت مبكر من تاريخها لما يختزنه من موروث ثقافي وحضاري في حياة العربي، ولما له من أثر كبير في تكوينه الأدبي المعرفي حتى غدا ثابتا من أهم ثوابتها ".[1]

لذلك كانت العناية بالشاهد قديمة، فهناك من يشرحه ويبنه،وهناك من يوثقه وينسبه، يقول " إيميل بديع يعقوب": "إنّها تشكل قسما مهما من تراثنا اللغوي عامة ...وهي فلا عن ذلك تؤلف جزءا مهما من تراثناالأدبي الحضاري".[2]

إنّ الشاهد البلاغي ينطوي على عملية اختيار تلقائي للشاهد، تخضع لطبيعته ومادته، بحيث ينظر إلى معناه خارج إطار اللغة المباشرة،والنّظر إليه وفق دلالات جديدة ناتجة عن العلاقات والتراكيب الجديدة.

"وإنّ هناك فارقا دقيقا بين التّوجه اللغوي الخالص والتوجه البلاغي، فإذا كان اللغويون يحتفون بشعر فترة الاحتجاج التي ترتبط بمكان وزمان محددين،فإنّ البلاغين قد تجاوزوا هذه النظرة اللغوية، وتعاملوا مع الإبداع في مراحله المختلفة دون نظر تقويمي إلى قديم أومحدث "[3]

فالفرق من خلال هذا القول واضح بين التوجهين اللغوي والبلاغي من خلال الاهتمام بالقديم والحديث على أن الفضل للبلاغيين الذين اهتموا بالإبداع

[1]إيميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد النحوالشعرية،، بيروت لبنان ط 1 1992،ص05.
[2]محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة ثانية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت 1997،ص 25.
[3]جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو،ضبطه وقدم له وعلق على حواشية أحمد سليم الحمصي واحمد القاسم -ط1 جروس برس 1988، ص 44.

دون شروط أوقيود.وقد حدد اللغويون فترة الاحتجاج بانتهاء العام 180هـ،بسبب فساد الألسن بعد ذلك".[1]

وهذا يعني أن الدرس البلاغي محدد بفترة أومرحلة معينة،مرتبطة بانتهاء السنة 180 من الهجرة.

أما في البلاغة فلم تحدد فترة معينة لقبول الشاهد البلاغي،وإنما اعتمدوا في ذلك على حسن الاختيار الذوقي للشاهد البلاغي وما يشتمل عليه من درجات الإبلاغية، فالمهم في المسألة المادة التي يتوفر عليها الشاهد، دون النظر إلى الفترة الزمنية للشاعر أوالقبيلة التي ينتمي إليها، وهذا يختلف عن موقف النحاة الذين حصروا الشاهد النحوي الذي يعتد به بقبائل قيس وتميم وأسد".[2]

ويبدوأنّ شواهد النحووالصرف واللغة هي من أكثر شواهد علوم اللغة العربية ثباتا، لارتباطها بالقواعد التي بنيت عليها،حتى شكلت جزءًا لا ينفصل من ثقافتنا، ولهذا لا تعجب من العناية التي حظيت بها على مر العصور.والأصل أن الشاهد البلاغي ينبغي ألا تحده حدود لا في نوعه ولا في زمن الاحتجاج به ولا في طريقة تحليله، لأن الهدف من هذا الفن هوتربية الذوق، ولا أحد يماري في أثر الشواهد وفي ذلك يقول الأستاذ عابد سليم الحربي: "إن للشواهد البلاغة أهمية كبرى في تذوق أسرارها واستكشاف دورها وتفيء ظلال البيان في أعلى مراتبها ..."[3]

[1] مصدر مذكور سابقا، البلاغة قراءة ثانية، ص44

[2] عبد السلام الحربي: الشواهد الشعرية في كتاب أسرار البلاغة، توثيق وتحليل بلاغي، رسالة ماجيستر الجامعة الإسلامية كلية اللغة العربية،ص22.

[3] المرجع نفسه، المقدمة ب.

فالشاهد البلاغي إذن يمتاز عن غيره بميزات ترجع إلى وظيفته والمجال الذي يتحرك به.

*** المبحث الثالث: المصطلح البلاغي لغة واصطلاحا.**

يعدالمصطلح البلاغي أحد المفاهيم الأساسية في علم اللغة ويعتبر جزء أساسيا من دراسة النصوص والخطاب.فالمصطلح البلاغي هوالسياق الذي يتم توظيف فيه اللغة والأساليب اللغوية لتحقيق تأثير معين على السامع أوالقارئ.

إنّ المصطلح البلاغي يلعب دورا هاما في تحليل النصوص وفهمها،حيث يساهم في التأثير على المشاعر والعواطف والآراء لدى المستقبلين للخطاب،ويمكن أن يظهر المصطلح البلاغي في شكل تشبيهات، تصريحات، مجاز، كناية، استخدام الألفاظ بشكل غامض، وغيرها من الأساليب التي تعتمد على الدلالات اللغوية لخلق تأثير معين.

فالمصطلح البلاغي له دور هام في تحليل الخطاب اللغوي وفهمه ويعتبر أداة مهمة للكتاب والقراء لتحقيق تأثيروتواصل فعال مع الجمهور.

1. **المصطلح لغة** :

جاء في لسان العرب: "الصلاح ضد الفساد صلح يصلح ويصلح صلاحا وصلوحا، والإصلاح: نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها فصلحت.والصلح تصالح القوم بينهم والصلح السلم. وقد اصطلحوا وصالحوا وتصالحوا بمعنى واحد" [1].

[1]ابن منظور: لسان العرب،دار صادر بيروت، ط4، 2007، مادة (صلح).

يحمل المعنى اللغوي لجذر صلح معان عدة وهي الصلح والصلاح، واتفاق، والتصالح، والسلم وزوال الخلاف والتعارف والإصلاح وعدم الفساد..

2. **المصطلحاصطلاحا**:جاء المعنى الاصطلاحي في التعريفات للجرجاني بأنه:" عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم مما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر المناسبة بينهما.وقيل:الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى ."[1]

فالمصطلح هواتفاق جماعة من الناس على تسمية الشيء بعد التواضع عليه مما يعين على تأدية المعنى بوضوح.

وثمة تعريفات حديثة تربط المفهوم بالمصطلح الدال عليه منها: "المصطلح كلمة أومجموعة كلمات من لغة علمية أوتقنية، ويستعمل للتعبير بدقة عن المفاهيم،وليدل على أشياء مادية محددة"[2].

وهذاالتعريف يجعل المصطلحغيرمقصور على الكلمة المفردة فالمصطلح قديكون من كلمة أومجموعة كلمات مجتمعة لتأدية المعنى.

ويمكن القول أن المصطلحات البلاغية عبارة عن وحدات لغوية استعملت استعمالا بلاغيا كالتشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها.فالتشبيه مثلا هووحدة لغوية تعني المقارنة بين شيئين وقد استعيرت في البلاغة للدلالة على المماثلة والشبه.ويتضمن المصطلح البلاغي الأقسام الكبرى وهي علم المعاني والبيان والبديع،وتندرج تحت كل مصطلح من هذه المصطلحات الكبرى عدة مصطلحات.

[1]السيد الشريف علي الجرجاني: كتاب التعريفات دار الندى، الإسكندرية، ص33.
[2]عزت محمد جاد:نظرية المصطلح النقدي،،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003م،ص 29.

*** المبحث الرابع: التفسير**

إنّ علم التفسير من أشرف العلوم؛ وذلك لأنه يتعلق بكلام الله الذي هوأقدس كلام وأشرفه، وقد قال الله عنه:{تنزيل من حكيم حميد}

(فصلت 42)،

ولقد بدأ شرف الخدمة في حقل التفسير ورَوْضَتِهِ منذ أن نزلت أولى آياته على قلب الحبيب المصطفى، فهوالمفسر الأول للقرآن الكريم، ثم توارث هذا الشرف الصحابة الكرام ومن بعدهم التابعون، إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرْضَ ومَنْ عليها.

وانطلاقاً من هذا شرع المسلمون العلماء يسلكون السبل الكثيرة ويتبعونَ أَحْسَنَ الطرق في سبيل الوقوف على مراد الله سبحانه، بعد أن أعدوا لهذا العمل الجليل عدته روحيا ومعنويا.وقد كثرت التفاسير على امتداد مساحة العالم الإسلامي، وتنوعت في شكلها ومضمونها، ونقصد بذلك الطريقة التي مشى عليها كل مفسر، والمنهج الذي اتبعه، وبناءً على ذلك تناول العلماء المحققون تلك التفاسير وقيموها سلبًا أوإيجابًا، من خلال الضوابط التي وضعوها وألزموا بها كل من أراد أن يتعاطى كتاب الله بالتفسير.[1]

1. القّسير لغةً :

[1]الدكتور عبد السلام يوسف: استاذ مساعد فيكليةالعلوم الإسلامية،جامعة ماردين ارتيكلو،كتاب علم التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه، 1442هـ،2020م ص 10

مأخوذ من الفسر، بمعنى الكشف والإبانة، وجذره (ف س ر) فسر الشيء يَفْسِره، ويفسره فسرًا.وجاء في اللسان: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.[1]

2. التّفسير اصطلاحاً :

علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.[2]

ولم ترد كلمة التفسير ومشتقاتها في القرآن الكريم إلاّ مرة واحدة فقط في قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا }(الفرقان: 33)

- موضوعه: كلام الله عز وجل.

-أدوات استمداده:من علم اللغة والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وعلم أصول الفقه،والقراءات، وأسباب النزول ....

- فائدته :التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق؛ لتفوز البشرية بخيري الدنيا والآخرة.

- فضله:لا شك أن للتفسير شأناً عظيماً وشأواً عالياً، كيف لا، وهويتعلق بكلام الله عز وجل، وهوخير كلام، قال الأصبهاني: «أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، ذلك أن شَرَفَ الصناعة يكون إما بشرف موضوعها أوبشرف غرضها أوبشرف الحاجة إليها، والتفسير قد حاز الشرف من الجهات الثلاث، فموضوعه كلام الله، والغرض منه الوصول إلى السعادة الحقيقية الأبدية، وأما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أودنيوي عاجلي أوأجلي يحتاج إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله سبحانه

[1] مصدرمذكور سابقًا(التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه سابقا)ص 13.
[2] مصدرمذكور سابقًا(التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه سابقا)14.

«واضعه: النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فكان أول مفسر لكتاب الله - عز وجل.

يمكن القول أنّ التفسير الأول ولد ونشأ على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، فهوأول مفسر لكتاب الله سبحانه، وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم هوالمرحلة الأولى للتفسير،ثم يليه تفسير الصحابة، « كان الصحابة رضي الله عنهم يرجع بعضهم إلى بعض واجتهاد منهم في فهم مقاصد ومعاني القرآن الكريم،وذلك لتفاوتهم في فهمه، والدليل على ذلك قول بن عباس: " كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، أنا بدأتها".[1]

وهذا يعني أن الصحابة رغم اجتهادهم إلا أنهم كان يستمدون أحيانا مصطلحات ومعاني القرآن من هذه التجارب التي مروا بها مثل بن عباس،ومن مميزات تفسير الصحابة كما ذكر الدكتور عبد السلام: " لم يكن تفسيرهم شاملا لجميع الآيات والسور، كانوا يقتصدون في التفسير ولا يتكلفونه، بل يكتفون غالبا بالمعنى العام، ولم يدونوا إلا القليل، ولم يعثروا من الرواية الإسرائيلية ...".[2]

وربما عدم تدوين الصحابة للتفسير هوخوفهم على على أن يختلط التفسير بالقرآن، وقله الاختلاف بينهم وما وجد كان اختلاف تنوع لا تضادوقد مرّ علم التفسير بمراحل إلى أن وصل لنا كعلمٍ يدرس وله أسسهُ وقواعده، من مرحلة نشأته على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم،ثم مرحلة التابعين، إلى أن بلغ مرحلة التدوين...."ونستطيع القول أن التدوين بدأ في

[1] مصدرمذكور سابقًا(التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه سابقا)ص 21
[2] مصدرمذكور سابقًا(التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه سابقا)ص 22

أواخر القرن الهجري الأول وبداية الثاني، حيث دُون التفسير مع الحديث الشريف بمختلف أبوابه...".[1]

اهتم التابعون بالتدوين وذلك لكثرة الفتوحات وظهور الفرق والمذاهب الإسلامية، حيث أصبح كل مذهب يفسر الآيات على حسب ما يوافق مذهبهم ومعتقداتهم إلاّ أنّ حبر الأمة ابن العباس "، قسّم التفسير وجعله أربعة أوجه:

1- وجه تعرفه العرب من كلامها،

2- وتفسير لا يعذر أحد يجهله،

3- وتفسير يعلمه العلماء،

4-وتفسير لا يعلمه إلاّ الله، ومن ادعى علمه فقد كذب ".[2]

واستطاع "ابن العباس" رضي الله عنه حصر التفسير على هذه الأوجه التي أصبح معمولاً بها من بعده.

* المبحث الخامس: المفسرون القدامى والمعاصرون ونماذج من تفسيراتهم البلاغية:

1- المفسرون القدامى ونماذج من تفسيراتهم:

اهتم علماء الدين باللغة وتفسير القرآن الكريم على مر العصور، وكانوا يعتبرون من أبرز العلماء في العصور الإسلامية الأولى، قدموا تفسيراتهم وشروحاتهم للقرآن الكريم بأسلوب ميسر وعميق، سعيا إلى فهم الرسالة الإلهية وتبيان معانيها وحكمها.

[1] مصدرمذكور سابقًا(التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه سابقا)ص 24.
[2] مصدرمذكور سابقًا(التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه سابقا)ص 27 .

وتعتبر أعمالهم مصدر إلهام وتأمل للمؤمنين والباحثين، وذلك لتميزها بالعمق والدقة، كما أنّ ها مرجع هاموقيّم لعلماء اللغة والمفسرين ودارسي القرآن الكريم، ومن بين المفسرين القدامى:

1.1. الإمام البيضاوي:

هوالإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبوسعيد البيضاوي الشيرازي الفارسي الشافعي القاضي المفتي العالم بالفقه وأصول الفقه والتفسير وأصول الدين والمنطق، والعربية والنحو.لم يذكر مرجع واحد تاريخ ولادته،كما أغفلت جميع المصادر سنة وفاته.وسمي البيضاوي نسبة إلى البيضاء من بلاد فارس اولهي مدينة كبيرة من أعالي شيراز،وتنسب إليها جماعة من العلماء.ونسب البيضاوي إليها لأن البيضاء تابعة لها، ولأنه تولى قضاء شيراز لمدة من الزمن كُني بالقاضي، والفارسي نسبةً إلى بلاد فارس حيث أنه نشأ في ربوعها وألف كتبا بالفارسية. والشافعي نسبةً إلى مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي الفقيه الإسلامي، وينسب البيضاوي إليهلأنّ ه تفقه على هذا المذهب وتولى القضاء للحكم بأحكامه وصنف بعض الكتب الفقهية في مذهب الشافعي."[1]

استند الإمام المفسر" البيضاوي على عدة أسس قواعد لضبط المعنى والمقصود من الآيات في تفسيره،كعلم القراءات والأحاديث النبوية وأشعار العرب،بالإضافة إلى علوم اللغة وقواعدها كالنحووالصرف

[1]القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي: ،تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ت - محمد صبحي بن حسن والدكتور محمد الأطرش،المجلد 1/ دار الرشيد للنشر دمشق / مؤسسة الإيمان بيروت لبنان،ط1 1421ه، ص5_6

والاشتقاقوالمجاز"...فالقاضي البيضاوي "سار في كتابه على نهج من سبقوه في علم التفسير أمثال الإمام "جار الله الزمخشري "،

2.1. مثال عن تفسير الإمام البيضاوي:

وكأمثلة على ذلك نذكر تفسيره لقولهتعالى:{عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(البقرة 5):

"..الجملة في محل رفع، إن جعل أحد الموصولين مفصولاً عن المتقين خبر له، فكأنّه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خُصّوا بذلك؟.فأجيب بقوله:(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...) إلى آخر الآياتوإلاّ فاستئناف لا محل لها، فكأنّه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة، أوجواب سائل قال: ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى؟ ونظيره أحسنت إلى زيد صديقك القديم حقيق بالإحسان، فإن اسم الإشارة ههنا كإعادة الموصوف بصفاته المذكورة، وهوأبلغ من أن يستأنف بإعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه، فإن ترتب الحكم على الوصف إيذان بأنه الموجب له.ومعنى الاستعلاء فيعَلَى هُدًى) تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه، وقد صرحوا به في قولهم :امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى، وذلك إنما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نُصِبَ من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العملوذُكر "هدى" للتعظيمفكأنّه أريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره، ونظيره قول الهذلي:فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على

لحوم أُكد تعظيمه بأن الله تعالى مَانِحُه والموفق له، وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة .."[1]

وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ..(كرّر فيه اسم الإشارة تنبيهاً على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الأثرتين وأن كلاً منهما كاف في تمييزهم بها عن غيرهم، وسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله:{أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} فإنّ التسجيل بالغفلة والتّشبية بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للأولى فلا تناسب العطففهم: فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويُفيد اختصاص المسند بالمسند إليه، أومبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر، وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحوفلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح.وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة، أوالإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم".[2]

وفي مثالٍ آخر من سورة البقرة،يفسر الإمام البيضاوي الآية بآيات أخرى من الذكر الحكيم، ومثال ذلك الآية السابعة من سورة البقرة، قال تعالى:{خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}،تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه.والختم الكتم، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له، والبلوغ آخره نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه والغشاوة فعالة من غشاه إذا غطاء بنيت لما يشتمل على الشيء، كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على

[1] مصدر مذكور سابقا، تفسير البيضاوي،ج1،ص54.
[2] مصدر مذكور سابقًا، تفسير البيضاوي، ص55.

استحباب الكفر والمعاصي، واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيّهم، وانهماكهم في التقليد، وإعراضهم عن النظر الصحيح، فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين، فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار، وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية، أوثّل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضُرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها حتماً وتغطية، وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى{ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ }(النحل108) وبالإغفال في قوله تعالى{ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكرنا } (الكهف28)[1]

3.1. فخر الدين الرازي:

هومحمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبري الأصل، الرازي المولد، الفقيه الشافعي. كنيته:وأبوعبد الله، كما في وفيات الأعيان، وشذرات الذهب، وعيون الأنباء ...وهوأبوالمعالي، كما في النجوم الزاهرة، وعرف بهما معاً (أبوعبد الله، أبوالمعالي) كما في عقد الجمان.وهو(أبوالفضل) على ما جاء في أخبار العلماء ...للقفطي .وهو(ابن خطيب الري)أوابن الخطيب كما في (تاريخ ابن خلدون).

لقبه: كما تعدد في كتب التاريخ اسمه كذلك لقبه ..فهوالإمام وفخر الدينوهوالرازي،وشيخ الإسلام.مولده: ولد الامام فخر الدين في مدينة (الري)

[1] الإمام محمد الرازي فخر الدين: ابن العلامةضياء الدين عمر المشهر بخطيب،تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب، الجزء الأول،دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع،لبنان بيروت.ط1،ص57 .

سنة أربع وأربعين وخمسمائة (544هـ) وهي كورة من مشاهير بلاد الديلم، قريبة من خراسان، والنسبة اليها، رازي » كما في الأنساب للسمعاني.

نشأته وبيئته العلمية: كان والده ضياء الدين عمر، من كبار علماء الري، وكان مبدأ اشتغال فخر الدين على والده إلى أن مات.شيوخه: اشتغل أول أمره على والده الشيخ ضياء الدين عمر، وكان من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي، وقرأ علم الكلام والحكمة على المجد الجيلي - أحد تلامذة الامام الغزالي - مدة طويلة بمراغة، وكان يحفظ [الشامل] لإمام الحرمين في علم الكلام.توفي سنة 605 أو604 هكما ذُكر في المصادر ."[1]

4.1. مثال عن تفسير الإمام فخر الدين الرازي:

من خلال ما سبق ذكره من مفسرين وأمثلة،فإن الإمام فخر الدين الرازي أيضًا له طريقته في التفسير،حيث يرتكز على آيات أخرى في تفسير الآية الواحدة من الذكر الحكيم،كما أنه يذكر عدة مسائل لتفسير الآية الواحدة،مستندًا في ذلك على من سبقوه في التفسير تارةً كالإمام الزمخشري،وجهوده الفردية تارةً أخرى.

وسنوضح ذلك في مثال{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (5)}. (سورة القارعة: 4،5.)

يفسرها الإمام الرازي بقوله"قَالَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ: الرَّفْرَفُ ثِيَابٌ خُضْرٌ تُنْسَجُ عَلَى شَكْلِ الْمَرَافِقِ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَارِعَةُ، أَيْ يَقَعُ عِنْدَهَا مَا يَكُونُ النَّاسُ عِنْدَهُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَصَفَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ قَالَ الزَّجَّاجُ: الْفَرَاشُ هُوَ الَّذِي يَتَهَافَتُ فِي النَّارِ، وَسُمِّيَ فَرَاشًا لِانْتِشَارِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى

[1] مصدر مذكور سابقا،تفسير الفخر الرازي،ص 338.

قَ وَقْتَ البعث هاهنا بِالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى بِالْجَرَادِ
جْهُ التَّشْبِيهِ بِالْفَرَاشِ ، فَلأَنَّ الْفَرَاشَ إِذَا ثَارَ لَمْ يَتَّجِهْ لِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ
ا تَذْهَبُ إِلَى الْجِهَةِ الأُخْرَى، يَدُلُّ هَذَا عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا بُعِثُوا فَزِعُوا،
الْمَقَاصِدِ الْخَتْلِفَةِ فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ غَيْرِ مَعْلُومَةٍ، وَالْمَبْثُوثُ الْمُفَرَّقُ ، يُقَالُ:
بَثَّهُ وَإِذَا أَمْعَنَ فِي وَصْفِ التَّشْبِيهِ بِالْجَرَادِ فَهُوَ الْكَثْرَةُ الْمُفْرِطَةُ، وَالْغَوْغَاءُ: غَاءِ الْجَرَادِ
هُ بَعْضًا وَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَبَّهَ النَّاسَ فِي وَقْتِ الْبَعْثِ
ر ، وَبِالْجَرَادِ الْمَبْثُوثِ، لأَنَّهُمْ لَمَّا بُعِثُوا يَمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ
كَالْجَرَادِ والفراش، ويأكد مَا ذَكَرْنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) (النَّبَأ: 18) وَقَوْلِهِ:
يَوْمَ (يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطففين: 6] وَقَوْلِهِ فِي قِصَّةِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ:
تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) [الكهف: 99] "[1]

ومن خلال هذا المثال يتوضح لنا أنّ الإمام الرازي يستند على كتاب الكشاف لصاحبه الزمخشري، كما استند على آيات من سور مختلفة لتفسير الآية الرابعة والخامسة من سورة القارعة.

ويعتمد أيضا على تفسير وشرح الظواهر اللغوية، وذلك باستخدام علوم النحووالصرف والبلاغة، لتحليل اللغة القرآنية وفهم معانيها بشكل أعمق.فنجده قد وظّف الإعراب والتركيبات الصرفية، والأساليب البلاغية والبديعية، بالإضافة إلى ذلك، شرح الألفاظ الغامضة أوالغريبة في القرآن، من خلال التركيب اللغوي والسياق القرآني.

[1] مصدر مذكور سابق، تفسير الفخر الرازي،ج31، ص 125

2- نبدة عن المفسرين المعاصرين وأمثلة عن تفسيراتهم:

التفسير عند المعاصرين عبارة عن مجموعة من الدراسات والأبحاث، تهدف إلى فهم وتفسير النصوص الدينية بطريقة معاصرة، ومواكبة للتطورات الحديثة في العلوم والمعرفة، وتتطابق مع تطلعات المجتمع في الوقت الحالي.

يتنوع تفسير المعاصرين من حيث الطرق والأساليب المستخدمة بتوظيفهم التحليل النقدي والتاريخي واللساني، معتمدين في ذلك على المنهج العلمي والنقدي، مع مراعاة السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي للنصوص.

ومن بينهم: محمد الغزالي ومحمد الطاهر بن عاشور ومحمد متولي الشعراوي،...يقدم هؤلاء المفسرون تفسيرات جديدة ومبتكرة للقرآن، ويسعون لربط الأسس القرآنية بالواقع المعاصر والتحديات التي يواجهها المجتمع اليوم.

1.2.الطاهر بن عاشور:

ولد محمد الطاهر بن محمد الطاهر ابن عاشور بقصر جمده للأم بالمرسي (ضاحية من ضواحي تونس العاصمة) في 1296هـ؛ 1879م، في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس.وقد نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء الذين تعلموا بجامع الزيتونة، تلك المؤسسة العلمية الدينية العريقة التي كانت منارة للعلم والهداية في الشمال الإفريقي، كان منهم احمد ابن عاشور (ت 1200هـ)، ومحمد ابن عاشور (ت 1266هـ)، ومحمد الطاهر ابن عاشور الجد (ت1284هـ)،تقلد مناصب خطيرة كالقضاء والإفتاء والتدريس والإشراف على

الأوقاف الخيرية والنظارة على بيت المال.كان إماما وأستاذا وقاضيًا ومفسرًا للقرآن، وافته المنية في 13 رجب 1393هـ المواقق ل 12 أغسطس 1973م"[1]

2.2. مثال عن تفسير الإمام المفسر الطاهر بن عاشور:

المفسر الإمام طاهر بن عاشور من المفسرين المعاصرين،وصاحب كتاب"التحرير والتنويرالذّي استهّله بعشر مقدمات منفصلة عن بعضها، ولكل مقدمة شُروحات حول الكتاب وذكر الأسس التي ارتكز عليها في تفسيره ممّن سبقوه من مفسرين وكتب أصول الفقه وعلوم اللغة.وكمثال عن تفسيره من سورة الكهف الآية29 قال تعالى:{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}(سورة الكهف29)والسُرادق بضم السين قيل: هوالفسطاط، أي الخيمة، وقيل: السرادق: الحجزة بضم الحاء وسكون الزاي، أي الحاجز الذي يكون محيطا بالخيمة يمنع الوصول إليها، فقد يكون من جنس الفسطاط أديما أوثوبا، وقد يكون غير ذلك كالخندق، وهوكلمة معربة من الفارسية، أصلها (سراطاق) قالوا: ليس في كلام العرب اسم مفرد ثالثه ألف، وبعده حرفان، والسرادق: هنا تخييل لاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار، وأثبت لها سرادق مبالغة في إحاطة دار العذاب بهم، وشأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف، فإثباته لدار العذاب استعارة تهكمية.والاستغاثة: طلب الغوث، وهوالإنقاذ من شدة، وبتخفيف الألم، وشمل يستغيثوا الاستغاثة من حر النار يطلبون شيئا يبرد عليهم، بأن يصبوا على وجوههم ماء مثلا، كما في آية الأعراف ونادى

[1]محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية - ت .حاتم بوسمحة .دار الكتاب المصري القاهرة - دار الكتاب اللبناني بيروت 2011ص18 .

أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء، والاستغاثة من شدة العطش الناشئ عن الحر فيسألون الشراب، وقد أومأ إلى شمول الأمرين ذكر وصفين لهذا الماء بقوله يشوي الوجوه بئس الشراب .والإغاثة: مستعارة للزيادة مما استغيث من أجله على سبيل التهكم، وهومن تأكيد الشيء بما يشبه ضده.والمهل: - بضم الميم - له معان كثيرة أشبهها هنا أنه دردي الزيت فإنه يزيدها التهابا قال تعالى يوم تكون السماء كالمهل .والتشبيه في سواد اللون وشدة الحرارة فلا يزيدهم إلا حرارة، ولذلك عقب بقوله يشوي الوجوه وهواستئناف ابتدائي،والوجه أشد الأعضاء تألما من حر النار قال تعالى تلفح وجوههم النار ، وجملة بئس الشراب مستأنفة ابتدائية أيضا لتشنيع ذلك الماء مشروبا كما شنع مغتسلا، وفي عكسه الماء الممدوح في قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب ، والمخصوص بذم بئس محذوف دل عليه ما قبله، والتقدير: بئس الشراب ذلك الماء، وجملة وساءت مرتفقا معطوفة على جملة يشوي الوجوه، فهي مستأنفة أيضا ; لإنشاء ذم تلك النار بما فيها ."[1]

المُفسر طاهر بن عاشور، من خلال تفسيره وأسلوبه نلاحظ أنه يجمع بين الجوانب اللغوية والفقهية والتاريخية، مما يجعل تفسيره يحاكي الواقع الحديث.

فطريقته المنطقية في تحليل الآيات تخدم اللغة وتأصل للدرس البلاغي من خلال ما يوظفه الإمام من توجيهات نحوية وصرفية وبلاغية .

3.2. محمد متولي الشعراوي:

[1]محمد الطاهر ابن عاشور:، تفسير التحرير والتنوير،،الجزء السابع والعشرون، الدار التونسية للنشر1984 ص307.

علم بارز من أعلام الدعوة الإسلامية،تركفي ذاكرة التاريخ مكانا بارزا كواحد من كبار المفسرين، وكصاحب أول تفسير شفوي كامل للقرآن الكريم، وأول من قدّم علم الرازي والطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم سهلا ميسورا تتسابق إلى سماعه العوام قبل العلماء، والعلماء قبل العوام -".ولد الشعراوي يوم 15 أبريل عام 1911م، بقرية "دقادوس"، مركز ميت غمر، بمحافظة الدقهلية، بجمهورية مصر العربيةكان أستاذ ًا ومدرسً ا وإمامً ا،وتقلد مراتبً ا في الدولة،ففي سنة 1976م اختير وزيرا للأوقاف في وزارة ممدوح سالم.وفي صباح الأربعاء 22 صفر 1419ه الموافق 1998/6/17م انتقلت الروح إلى باريها، وفقدت الأمة علما آخر من أعلامها البارزين" [1].

4.2. مثال عن تفسير الإمام الشعراوي:

ذكر الشعراوي في مدخل كتابه على أن ما شرحه من آيات عبارة عن خواطر وهبات صفائية تخطر على قلب مؤمن وليس تفسيرا للقرآن ويقول: "خواطرى حول القرآن الكريم لا تعنى تفسيرا للقرآنوإنّما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية أوبضع آيات، ولوأنّ القرآن من الممكن أن يفسر لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بتفسيره. "[2]

وذكر في تفسير الآية 39 من سورة النور ما يلي،قال تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(سورة النور: 39)والسراب: ما يظهر في الصحراء وقت الظهيرة، كأنه ماء وليس كذلك .وهذه الظاهرة نتيجة انكسار

[1] الشعراوي، كتاب تفسير الشعراوي،قطاع الثقافة والكتب والمكتبات مصر، ص14
[2] مصدر مذكور سابقا، تفسير الشعراوي، ص5

الضوء،و« قيعة »: جمع قاع وهى الأرض المستوية مثل جار وجيرة وأسند الفعل يحسبه إلى الظمآن ؛ لأنه في حاجة للماء، وربما لولم يكن ظمآناً لما التفت إلى هذه الظاهرة، فلظمئه يجرى خلف الماء،لكنه لا يجد شيئاً ، وليت الأمر ينتهى عند خيبة المسعى إنما وَ وَ جَدَ الله عنده فَوَ فَّاه حسابه.فوجئ بإله لم يكن على باله حينما فعل الخير، إله لم يؤمن به، والآن فقط يتنبه، ويصحومن غفلته، ويُفاجأ بضياع عمله إذن: تجتمع عليه مصيبتان: مصيبة الظمأ الذي لم يجد له ريًا، ومصيبة العذاب الذي ينتظره، كما قال الشاعر،)كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

كما أبرقت قَوْ مًا عطاشا غَمَامَةٌ وأوهَا أَقْشَعَتْ وتَجَلَّت.وسبق أن ضربنامثلاً لهذه المسألة بالسجين الذي بلغ منه العطش مبلغاً ، فطلب الماء، فأتاه الحارس به حتى إذا جعله عند فيه واستشرف المسكين للارتواء أراق الحارس الكوب، ويُسمون ذلك: يأس بعد إطماع.لذلك الحق -تبارك وتعالى- يعطينا في الكون أمثلة تزهد الناس في العمل للناس من أجل الناس، فالعمل للناس لا بد أن يكون من أجل الله.وفي الواقع تصادف من ينكر الجميل ويتنكر لك بعد أن أحسنت إليه، وما ذلك إلا لأنك عملت من أجله، فوجدت الجزاء العادل لتتأدب بعدها ولا تعمل من أجل الناس، ولوفعلت ما فعلت من أجل الله لوجدت الجزاء والثواب من الله قبل أن تنتهى من مباشرة هذا الفعل".[1]

ومن خلال قراءتنا لتفسير هذه الآية، نلاحظ الأسلوب الشيّق والبسيط الذي يستعمله الشعراوي في تفسير القرآن،ونلاحظ أيضا استخدامه لعلوم اللغة كالنحووالصرف وشرح الكلمات للوصول إلى المعاني الدقيقة،وتفسيرها بشكل صحيح.

[1]مصدر مذكور سابقا، تفسير الشعراوي، ص10259

* المبحث السادس: مصطلحا التخييل والتمثيل:

يعتمد مفسروالقرآن الكريم على مجموعة من الآليات في الشرح وضبط المعاني، كتفسير القرآن بالقرآن، وتوظيف الأحاديث النبوية، والاستناد على علم القراءات، وأصول الفقه، وأشعار العرب، وعلوم اللغة كالصرف والنحووالبلاغة، ومن المصطلحات التي نصادفها في تفسير الزمخشري، التخييل والتمثيل.

وقداعتبر أغلبية علماء اللغة التخييل من العناصر الأساسية في الأدب والشعر العربي، فالتخييل هوالقدرة على إيجاد أفكار وصور مبتكرة والتعبير عنها بأسلوب جيد وإبداعي.

أما التمثيل فيشير إلى القدرة على تجسيد وتصوير هذه الأفكار والصور الخيالية،من خلال استخدام اللغة والأسلوب الأدبي .

يهدف التمثيل إلى تعزيز فكرة معينة إبراز جماليات النص الأدبي.

وقد ذكرهما المفسر الزمخشري في كتابه الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويلفي وجوه التأويل، ووظّفهما كآليات في تفسير القرآن الكريم،فما هوالتخييل ؟والمقصود بالتمثيل لغة واصطلاحا؟

1. التخييل:

لقد ورد لفظ التخييل في الكثير من المعاجم العربية، ولهذا اللفظ مجموعة من المعاني والشروح تذكر منها:

1.1 التخييل لغة:جاء في لسان العرب لابن منظور تخيل الشيء له: أي تشبه وتخيل له أنه كذا: أي تشبه وتخايل ويقال تخيلته فتخيل لي، لما تقول تصورته فتصور، وتبينته فتبين وتحققته فتحقق"[1]

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: "خيل: فيه خيلاء ومخيلة.وهويمشي الخيلاء.وإياكوالمخيلة وإسبالالإزار.واختال في مشيته وتخيل.

وخايله فاخره، وتخايلوا تفاخروا، وخلته كريما مخيلة، وأخطأت في فلان مخيلتي أي ظني، ورأيت في السماء مخيلة وهي السحابة تخالها ماطرة لرعدها وبرقها،ورأيت فيها مخائل، والسماء مخيلة للمطرمتهيئة له.

وقد أخالت السماء وخيلت وتخيلت وخايلت، وسحابة مخايلة إذا رأيتها خلتها ماطرة.وأخال فيه الخير رأى مخيلته، أخال عليه الشيء:اشتبه وأشكل،يقال: لا يخيل ذاك على أحد.

وخيل إليه أنه دابة فإذا هوإنسان، وفلان يمضي على المخيل أي على ما خيلت .وتخيل الشيء تلون، وخيل علينا فلان أدخل علينا التهمة، وتخيل علينا تفرس فينا الخير، وخيلت فلانة في المنام وتخل لي خيالها، وظهر خياله في المرآة، ونصب خيالا في مزرعته وهوالفزاعة.وعن الشعبي وجدت رجال هذا الزمان خيالات، وهؤلاء خيالة أي أصحاب خيل، وكم عنده من خيالة ورجالة"[2]

التخييل في المعجم الوسيط:خيل إليه كذا،لبس وشبه وجهه إليه، الوهم تخايل له الشيء تشبه .والأرض: بلغ نبتها أن يرعى وخرج زهرها، وفلان تكبر،

[1]ابنمنظور أبوالفضل جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، دار الحديث القاهرة المجلد الثالث ص 264

[2]الزمخشري ، مصدر مذكور سابقا، ج2،ط1 1998م، ص275

وأعجب بنفسه والقوم تفاخروا.ويقال تخيل لي خياله: تشبه وتصور، ويقال أيضا تخيله فتخيل له تمثله وتصوره[1]

والمُخيل يقال فلان بمعنى على المخيل على ما خيلت نفسه أي ما شبهت .أي على غرر من غير يقين.

والمخيلة القوة التي تخيل الأشياء وتصور لها وهي مرآة العقل، وفي قوله تعالى:{إِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ }(طه66)يمكن القول من خلال ما ورد من تعاريف،أنّ كلمة تخيل تعبر وتعني الطيف والوهم، وما انتبه من صور في ذهن ومخيلة الإنسان، بمعنى التمكن من استحضار الصور، فهي عملية ذهنية تسطيع على إنسان القيام بها، ومنه يمكن أن أتخيل أنني في أحد الأماكن (مدينة معينة أوبلدة ما)،فيمكننا استحضار صورة المكان دون الذهاب له جسديا، فالعملية هاهنا عملية ذهنية.

2.1.التخييل اصطلاحا:

يبدوأن أول من استخدم لفظة التخييل الفارابي ت (339ه)،ثم تبعه في هذا ابن سينا (ت427ه).[2]

وقد جاء تفسير كلمة المحاكاة الأرسطية بقول عبد القاهر الجرجاني:" إن الذي ما أريده بالتخييل هنا هوما ينبه فيه الشاعر أمرا غير ثابت أصلا ويدعى دعوة لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولاً لا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى "[1]

[1]المعجم الوسيط،معجم اللغة العربية: دار الدعوة ج الأول ص 263
[2]ينظرعلي آيت أوشان: التخييل الشعري في الفلسفة الإسلامية، الفرابي ابن سينا ابن رشد.دار الأرشيف الاسلامي،إتحاد الكتاب بالمغرب2004 ص20

وهذا النوع من المعاني يأتي على أوجه منها ما يكون خداعًا للعقل ومنها ما يكون ضربا من التحسين والتزيين."[1] إنّ عبد القاهر الجرجاني يفهم التخييل على انه نقيض للحقيقة وتصويرها حسب رؤية الشاعر لها من خلال مخيلته وأحاسيسه "[2]

فالتخييل قائم على الإيهام.فيمكن للمبدع أن يصور لنا مكان أوشخص دون مطابقته للواقع، وكذلك يعمد إلى تزين السيئ القبيح وتقبيح الجيد.وهذا المعنى يدنوهن شرح أرسطو، ومن تأثروا به أمثال حازم القرطجنّي الذي قدم لنا تعريفا دقيقا للتخييل إذ يقول: " التخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أومعانيه أوأسلوبه أونظامه، وتقوم في خياله صورة أومجموعة من الصور ينفعل لتخيلها أوتصورها، أوتصور شيء آخر بها، انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الإنبساط أوالانقياض.."[3]

ثم يذكر أنّ التخييل يقع بين أربع جهات:من جهة المعنى،ومن جهة الاسلوب، ومن جهة اللفظ،ومن جهة النّظم والوزن (وهذا يخص الشعر).وقد اعتبر النقاد العرب أن الخيال من أقسام التخييل، فهوالصورة الحسية التي تتخذها المخيلة وسيلة لها في نقل المعنى، ولهذا فقد رأوا أنّ التخييل ! مرتبط ارتباطا وثيقا بالحس.ويؤكد ذلك قول حازم القرطجني .."والذي يدركه الإنسان بالحس فهوالذي تتخيله النفس لأنّ التخييل تابع للحس .."[4]

---

[1] الجرجاني:أسرار البلاغةمصدر مذكور سابقًا، ط1ص 301

[2] عثمان موافي:في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في الأدب دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ط 1، 2012،ص139

[3] التّخييل الشعري في الفلسفة الإسلامية،مصدر مذكور سابقًا ص 139

[4] حازم القرطجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء،الدار العربية للكتاب ت محمد الحبيب ابن الخوجة تونس فيفري 2008 ص 97

من خلال هذا المعنى للتخييل، فالعديد من البلاغيين ذهبوا إلى فهم التخييل على أنه تصوير المعنى إلى الحس، أمثال الزمخشري، فقد وجد بعض الآيات من القرآن الكريم التي في ظاهرها الشبيه، مثل قوله تعالى:{وسع كرسيهُ السماواتِ والأرض}(البقرة 255)، وقوله أيضا:{والأرض جميعا قبضته يوم القيامة} (الزمر67) فقال عنها أرسطو اذّها تمثيل وتخييل، وإن ألفاظها لا ينبغيأن تحمل حقيقة ولا مجاز، وإنّما تحمل على أذّ ها تمثيل وتصوير حسي "[1]

من خلال هذا الطرح نرى حازم القرطجني بيّن أنّ التخييل الذي لا يعتمد على الحس ولا يرتبط به لا يعد تخييلاً ، بل هوأقرب إلى التوهم، فيقول في هذا الصدد: "أنّ كل ما أدركته بالحس فإن ما يرام تخييله بما يكون دليلا على حالة من هيئات الأحوال المطيفة به واللازمة له، حيث تكون تلك الأحوال، مما يحس ويشاهد فيكون تحميل الشيء من جهة ما يستبينه الحس من آثاره والأحوال اللازمة له حال وجوده، والهيئات المشاهدة لما التبس به ووجد عنده، وكل ما لم يحدد من الأمور غير المحسوسة فلا يجب أن يعتقد في ذلك الإفهام أذّ ه تخييل لأن الكلام كله كان تخييلا بهذا الاعتبار..." [2]

آراء البلاغيين والنقاد حولالتخييل:"ركّز الفلاسفة على "التخييل أكثر مما ركزوا على التخيل" وفهموا الشعر على أساس أنه عملية تخيلية تتم في رعاية العقل،أي أذّ ه تخييل عقلي كما أسلفنا " [3]

[1] شكري عياد: ترجمة فن الشعر، دار الكتاب العرب القاهرة 1987،ص262
[2] عثمان موافيفي نظرية الادب - ص 141
[3] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.المركز الثقافي العربي ط3 1992 بيروت الحمراء - ص 65

أي وكأن الشاعر يأخذ من المتخيلة والوهم مادته الجزئية، ثم يعرضها على عقله ويدع له وحده مسؤولية التصرف فيها.ويرتبط التخييل الشعري بالانفعالات التي تختلج نفس المتلقي فتؤدي إلى قبض، أوبسط، ومن هنا كان " بن سينا"يرى أنّ : " التخيل هوانفعال من تعجب، أوتعظيم أوتهوين أوتصغير أوغم أونشاط" [1]

ويعني ربط الشعر بالتخييل، أنّ الشعر يتركب من كلام مخيل، تذعن له النفس وتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير رؤية وفكر واختيار،والجملة تنفعل له إنفعالاً نفسانيا غير فكري، أي أن الاستجابة التي يحدثها الشعر في المتلقي، إنما هي إستجابة تتم على مستوى، اللاوعي " الخالص، دون أن يتدخل العقل فيها. "...ومن هنا نفهم لماذا يوصف الانفعال الناتج عن التّخييل الشعري بأنه انفعال نفساني من غير رؤية وفكر واختيار."[2]

فالتخييل حسب ما سبق ذكره مرتبط بالشعر يؤثر على النفس على حسب رغبة الملقي،وما ينتج من انفعالات عنه تعتبر انفعالات نفسية.

إنّ التخييل عند " الفارابي وابن سينا " يستخدم ضمن ما يستخدم بإعتباره اسم جنس تندرج تحته أنواع التشبيه والاستعارة، على أساس أنها صور ومعان تخييلية تقوم على الإيهام،فإذاكان عبد القاهر الجرجاني يرى أنّ التخييل خداع للعقل ومحض وتزويق للباطل فهل تعد الاستعارة كذلك؟ وهي كثيرة الورود في القرآن الكريم.هنا يضطرب عبد القاهر فيقول:... " وجملة الحديث الذي أريده بالتّخييل هاهنا ما يثبت فيه الشاعر أمرا هوغير ثابت أصلا ويدعي دعوى لا

[1] مصدر مذكور سابقًا(جابر عصفور) ص 66
[2] مصدر مذكور سابقًا(جابر عصفور)ص 67

طريق إلى تحصيلها، ويقول قولا لا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى،فأماالاستعارة فإن سبيلها سبيل الكلام المحذوف، في أنك لورجعت إلى أصله وجدت قائله يثبت أمرا عقليا صحيحا .." [1]

وهنا يحاول عبد القاهر الدفاع عن رأيه حول لفظة التخييل، ضاربا بذلك مثالاً عن الاستعارة التي وردت كثيرا في القرآن الكريم ولم يقع في ذلك الاضطراب والتناقض الا لإلحاحه على ربط التخييل بالكذب وجعله نقيضا للحقيقة والصدق.

أمّا "الزمحشري المعتزلي"فقد كان أكثر تحررا من عبد القاهر الأشعري،وأكثر منه ذكاء في معالجة مفهوم التخييل.فقد استبعد كل دلالات المخادعة التي تكتنف المصطلح، ولم ينظر إليه من زاوية منطقية أوكلامية توازن بين الصدق والكذب كما فعل عبد القاهر،وإنما نظر إلى التخييل على أساس أنه تمثيل للمعاني المجردة وطريقة من طرائق التجسيم المعنوي وتصويره للحس فحسب. "وعندما فهم الزمخشري " مصطلح " التخييل في هذه الحدود الفنية الخالصة، التي لا تسبب أي قدر من القلق الديني .تمكن من معالجة أسلوب القرآن ودراسة تخيلاته " دون أن يشعر بشيء من الارتباك".[2]

ومن هنا تجد أن الزمخشري تحدث عن التشبيه التخييلي والإستعارة التخييلية في القرآن دون ادنى توتر أواضطراب.ومع ذلك فالزمخشري لم ينج من

[1] مصدر مذكور سابقًا(جابر عصفور)ص 77
[2] مصدر مذكور سابقًا(جابر عصفور)ص 77

اللوم والهجوم للسمعة السيئة التي اكتسبتها كلمة "التخييل."وينهال "ابن المنير " على الزمخشري لوما وتقريعا لاستخدامه كلمة لا تليق بوصف جلال القرآن "[1]

فابن المنير كان ضد استعمال مصطلح التخييل لتفسير معاني القرآن، عكس الزمخشري الذي ذكر أمثلة عن التشبيه التخييلي والإستعارة التخييلية من القرآن الكريم، فهل كانت للزمخشري حجة إقناعية في ذلك ؟

فعبد القاهر الجرجاني رغم استعماله لكلمة التخيل في مواضع معينة وشروحات متقنة، إلاّ أنه كان وجهة لصب اللوم والتقريع من طرف من تبحروا في علمه وفهموا أسلوبه ولغته."..إنّ الحاح حازم القرطجني على إمكانية استخدام الأقاويل الصادقة في الشعر وفائدتها للتخييل الشعري، إنمّا هومن قبيل ردود الأفعال العارضة لهجمات الفقهاء والمتكلمين الذين أسرفوا في التحقير من شأن الشعر خاصة في معرض المقارنة بينه وبين القرآن، أوفي معرض تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر.[2]

وجدنا حازما يفهم التخييل الشعري على نحوما فهمه الفارابي وابن سينا، وسيلم ضمنا بكل الأسس المعرفية والأخلاقية التي هونت من قيمة التخييل الإنساني، والتي تركت آثار ضارة على مفهوم التخييل الشعري نفسه.."..وإذا كان حازم قد فمم التخييل على أنه تأثير في الانفعالات يستدرجها ويوهمها بصواب ما يقوله الشاعر ويخليله، فمن الطبيعي أن يجد حازم أوجها للشبه بين

[1] مصدر مذكور سابقًا(جابر عصفور)ص 78
[2] مصدر مذكور سابقًا(جابر عصفور)ص 84

الشعر والخطابة، على أساس أن الغرض من كلتا الصناعتين واحد وهواعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول بمقتضاه "[1]

إذن وحازم هنا يرى أنّ الشعر والخطابة يلتقيان في غرض واحد باستعمال الحيلة في القاء الكلام وإقناع المتلقي.

2.التمثيل:

تطورت لفطة " تمثيل " مع العصور، ووقف عندها الأدباء والبلغاء حيث أن مصطلح التمثيل بمفهومه البلاغي لا يخضع لابتزاز الثبات عبر مسيرته التطورية.

1.2. التمثيللغة:جاء في معجم المعاني الجامع: " تمثيل: مصدر مثل تمثيل: القيام مقام هيئة أوحزب.بلاغةً : التمثيل تشبيه صورة مركبة بأخرى مركبة مثيل الشيء وشبيهة " [2]

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري:"مثل: لي مثله ومثله ومماثلة ومثل به مثلة، (ولا تمثلوا بنامية الله)، وهوأن يقطع بعض أعضائه أويسود وجهه، وحلت به المثلة:العقوبة والمثلات.

ومثل قائما انتصب مثولا، ورأيته ماثلا بيت يديه، وتماثل من مرضه.

ومثله به شبهة، وتمثل به تشبه به، ومثل الشيء بالشيء:سوى به وقدر تقديره، ومثل التماثيل ومثلها صورها،قال طرفة من الطويل:

(أتعرف رسم الدار قفرا منازلهكجفن اليماني زخرف الوشي ماثله).

[1] مصدر مذكور سابقًا(جابر عصفور)ص 85
[2] معجم الوسيط في اللغة العربية مادة مثل

ونام على المثال وهوالفراش، وهذا البيت مثل نتمثله عندنا ونتمثل به.

وامتثلتُ للأمر، احتذيته، وامتثل منه:اقتص، والقاضي أقضه وأخذ المثال:القصاص.ومثل الرجل مثالة وهومثيل، وهم مثلاء،ويقولون:زادك الله رعالة كلما ازددت مثالة.ويقول المريض أنا اليوم أمثل ."[1]

وعليه فالتمثيل يشير إلى استخدام اللغة بشكل مجازي أومعنوي لتمثيل فكرة أومفهوم معين،أولتجسيد حقيقة بطريقة مبالغ فيها.

2.2. التمثيلاصطلاحا:التمثيل هوالتّنبيه، وقد تحدث عنه "أبوعبيدة "وهوعنده الشبيه أوتشبيه التمثيل، وأفرد له قدامة بحثا وقال: " هوأن يرد الشاعر إشارة إلى معنى فضيع كلاما يدل على معنى آخر،وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه، وفسره المصري مثل هذا التعبير.." [2]

والتمثيل عند " العسكري والباقلاني وابن رشيق "المماثلة،وهوضرب من الإستعارة، والتمثيل عند "عبد القاهر والسكاكي والقزويني وشراح التلخيص وغيرهم، هوالتشبيه التمثيلي وقد تقدم .[3]

من خلال ما ذكرناه، يتجلى لنا حسب التعريفات أن التمثيل هوالشبيه ولكن بطريقة أخرى ذكرت على أساس التشبيه التمثيلي.وجاء في كتاب التعريفات لصاحبه العلامة "علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني "التمثيل إثبات حكم واحد في جزء لثبوته في جزء آخر لمعنى مشترك بينهما، والفقهاء بيسمونه

---

[1] الزمخشري،أساس البلاغة،مذكور سابقًا، ص194

[2] أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون بيروت،إعادة الطبع 2008،ص415

[3] مصدر مذكور سابقًا(أحمد مطلوب)ص 416

قياسا، والجزء الأول فرع والثاني أصل، والمشترك علة وجامعا، كما يقال: العالم مؤلف، فهوحادث،كالبيت، يعني البيت حادث لأنه مؤلف، وهذه العلة موجودة في العالم فيكون حدثاً ..."[1]

وتعريف الشريف الجرجاني جاء نوعا مغاير لتعريفات الفقهاء المذكورين سلفًا، فهويرى أن التمثيل مشترك بين جزئين في شيء واحد،على أن يكون جزء عام والجزء الآخر خاص.

ظهر مصطلح التمثيل عند الباقلاني (ت 403) وهوصاحب الكتاب إعجاز القرآن، وكان يقصد بها المشابهة والمماثلة في شيئين يقول: " التمثيل أن تقصد الإشارة إلى معنى فتضع له الفاظا تدل عليه، ذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه وذلك كالعبارة التي وظفها "يزيد بن الوليد" إلى "مروان بن محمد" عندما بلغه أنه يتلكأ عن بيعته ...أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت." [2]

ثم ذكر ابن رشيق (ت 456ه) في كتابه العمدة مقرنا إياه بالتشبيه، ثم استعمله الجرجاني كمصطلح قائم بذاته له مفهومه الخاص ومميزاته يقول فيه: "التشبيه الذي هوأولى بأن يسمى تمثيل لبعده على التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل إلا من جملة من الكلام أوجملتين أوأكثر،حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر ...».[3]

[1]على بن محمد السيد الشريف الجرجاني:معجم التعريفات،ت محمد صديق المشاوي،دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة ص59

[2]عبدالعزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، أستاذبجامعة بيروت،دار النهضة العربية ص219

[3]الجرجاني،أسرار البلاغة،ت محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة .ص 90 - باب التشبيه والتمثيل.

فعبد القاهر يرى أن التمثيل ما كان فيه وجه الشبه محتاجا إلى تأويل،أي منتزع من لازم الصفة، ولا يكون كذلك إلا إذا كان عقلياً ...."ولعل الذي دعاه إلى الفصل بين التشبيه والتمثيل هووجود بعض التشبيهات التي تمتاز بالدقة واللطف، ووجه الشبه فيها حسيا أوعقليا، وأيضا وجود بعض التشبيهات الأخرى التي تمتاز بهذه الصفات، ووجه الشبه في التمثيل أضعف منه في التشبيه لأن الشبيه أصل والتمثيل فرع منه."[1]فالجرجاني وضحّهنا بأن التشبيه أصل والتمثيل فرع، واستخلص إلى ذلك بعد أن رأى أنّ وجه الشبه في التمثيل ماكان محتاجا إلى تأويل.

الفرق بين التمثيل والتشبيه:لقد سعى الأدباء إلى التفريق بين التشبيه والتمثيل، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة أنه إذا عرفت أوأدركت الفرق بين الضربين، فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل،ضاربا بذلك مثالاً عن قول قيس بن الخضير من الطويل:"وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى، كعنقودةملاحية حين نورا إنّه تشبيه حسن ولا نقول تمثيل، وكذلك نقول ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها، لأنك تعنى تشبيهه المبصرات بعضها ببعض وكل ما لا يوجد الشبه فيه من طريق التأويل ..." [2]

وقد بين "عبد القاهر" أحقية التشبيه على التمثيل من حيث العام والخاص، مؤكدا أنّ التشبيه أعم، وفي مثالٍ آخر ذكر الجرجاني "أنّ كل ما لا يصلح أن يسمى تمثيلا فلفظ " المثل " لا يستعمل فيه أيضا،وذكر قول "بن المعتز "فالنار

[1] مصدر مذكور سابقًا(أسرار البلاغة) ص91
[2] مصدر مذكور سابقًا(تاريخ البلاغة العربية) ص95

تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، على أنه تمثيل، فمثل الذي قلت ينبغي أن يُقال، لأن تشبيه الحسود إذا صِبر عليه وسُكت عنه،وترك غيضة يتردد فيه يساوي النار التي لا تمد بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا، مما حاجته إلى التأويل ظاهرة بينة."[1]وظّف "الجرجاني "هذه الأمثلة كي يوضح الفرق بين التشبيه والتمثيل.

أراء البلاغيين حول مصطلح التمثيل:

لقد تعددت آراء الأدباء والبلاغيين القدامى في تحديد مفهومه ولم يجعلوا له حدودًا فاصلة، فمنهم من عده في باب التشبيه، ومنهم من جعله في باب الكناية، وآخرون خصصوه بالاستعارة التمثيلية، أوالتّشبيه التمثيلي، " فهذا قدمة بن جعفر (ت 337 ه) يفسره بقول "الرماح بن عبادة - :" ألم تك في يمني يديك جعلتنى فلا تجعلني بعدها في شمالك ولوأنّي أذنبت ما كنت هالكا على خصلة من صالحات خصالك فبهذا المثال يقصد التمثيل »[2]

ففي الشطر الأول من البيت الأول، تمثيل لحال القرب والمحبة بحال الأشياء التي توضع في اليد اليمنى، فاليد اليمنى هي التي يعتمد عليها الإنسان،كما أن استعمالها يكون في الأعمال الشريفة، مثل تناول الطعام والكتابة والمصافحة،وبها يؤتي المؤمن كتابه يوم القيامة، وأما الشطر الثاني من البيت نفسه، فهوتمثيل لحال البعد الإهمال الذي أصبحت عليه علاقة الشاعر مع من يخاطبه بحال الأشياء التي توضع في اليد اليسرى.

[1]مصدر مذكورسابقًا(تاريخ البلاغة العربية) ص 97
[2]محمود سليم محمد هياجنة،مصطلح التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني، استاذ الأدب والنقد جامعة شقراء،حولية طلبة اللغة العربية بالمنوفية العدد 35، إصدار يونيو2020،،ص33

وهذا أبوهلال العسكري (ت 395هـ) تحدث عن مصطلح التمثيل تحت اسم المماثلة،وأورد كثير امن الشواهد الأدبية التي تشتمل الكثيرمن الصور البيانية كالتشبيه الاصطلاحي والكناية والمجاز والاستعارة.وهذا ابن رشيق (ت 456) يعد التمثيل من التشبيه، فهويقول.." :.والتمثيل والاستعارةمن التشبيه، إلاّ أنّ هما بغير أداة وعلى غير أسلوبه .." [1]

فابن رشيقٍ هنا يخالف الجرجاني في ضبط مفهوم التمثيل،حيث أن الجرجاني فرق بين التمثيل والتشبيه والاستعارة، وبن رشيق يعد التمثيل هوالتشبيه، وأما السكاكي (ت (626ه) فيعرفه بأنه: تعددية الحكم من جزئي إلى آخر لمشابهة ينهما." [2]

فالسكاكي في تعريفه يميل نوعا ما إلى تعريف الجرجاني، ويورد بن الأثير (ت563هـ): "أنّ قوما عدوا التمثيل قسما من أقسام الكناية فعرفوه بأنه:أن تراد الإشارة إلى معنا فيوضع لفظ لمعنى آخر،ويكون ذلك مثالاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه، كقولهم فلان نقي الثوب أي منزة عن العيوب."[3]

وهوينكر عليهم لأنه يرى أن الكناية كلها تمثيل وأن هذا التمثيل يكون أشد مناسبة وأكثر وضوحا عندما ترد الكناية كلها تمثيل، وأن هذا التمثيل يكون أشد مناسبة وأكثر وضوحا عندما ترد الكناية عن طريق اللفظ المركب كما في عبارة فلان نقي الثوب.وهوبذلك لك يخلط بين التمثيل والكناية ولا يرى فرقا بينهما، و المثال الذي أضافه كناية عن صفة.

[1] مصدر مذكور سابقا(مصطلح التمثيل عند الجرجاني) ص 331
[2] مصدر مذكور سابقا (مصطلح التمثيل عند الجرجاني) ص 331
[3] مصدر مذكور سابقا (مصطلح التمثيل عند الجرجاني) ص 332

الفصل الثاني:

نماذج من التخييل والتمثيل في تفسير الكشاف للزمخشري

- ✓ دراسة تحليلية نموذجية لمصطلحالتخييل.

  (نماذج للتخييل من كتاب الكشاف)

- ✓ دراسة تحليلية نموذجية لمصطلحالتمثيل.

  (نماذج للتّمثيل من كتاب الكشاف)

- ✓ إستنتـــاج

*** تمهيد:**

اعتمد الإمام الزمخشري في تفسيره على ضروب من التأويل والمجاز والتمثيل، فيحمل ما ظاهره التنافي مع العقل والأصول المتلقاة من الشرع، على ضرب من التمثيل والاستعارة والمجاز،وولع بهذه الطريقة، فمشى عليها من أول تفسيره إلى آخره،ولم يقبل المعاني الظاهرة التي أخذ بها أهل السنة وحسبوها أقرب إلى الصواب، ومن الجانب البلاغي، درس الزمخشرى التشبيه، وتشبيه التّخييل، وفرّق بين الاستعارة والتشبيه، وبين القيمة البلاغية للقيود فى الصورة، ودرس العلاقة بين الطرفين، فيحال التّعدد، والإفرادوالتركيب، وبيّن قيمة التمثيل، كما أشار إلى التشبيه المقلوب .

فالمصطلحات التي اعتمد عليها صاحب الكشاف مثل التخييل والتمثيل يمكن اعتبارها جزءاً من دراسات البلاغة وخاصة لما لها من أثر في فهم المعاني .

فقد استعملهما كأساليب لتوضيح المفاهيم والأفكار بطريقة ملموسة وملونة لدى القارئ أوالمستمع، وتجعل المعنى أكثر وضوحاً وقوة، وبالتالي يمكن رؤية استخدام التخييل والتمثيل من خلال المصطلحات البلاغية كجزء من العمل اللغوي والبلاغي .فهل أثرُ هذين المصطلحين واضحفي تفسير الكشّاف ؟

*** <u>المبحث الأول</u>:دراسة تحليلية نموذجية لمصطلحالتخييل:**

1. النموذج الأول:

النموذج الأول من سورة البقرة الذي يوضح قوة الله سبحانه وتعالى، وعظمة شأنه، وسورة البقرة هي ثاني سورة من سور القرآن الكريم، ونزلت تحديًا لليهود والمنافقين الذين كانوا يثيرون الفتن، ويحاولون تقويض دعوة

الإسلام، وتسمى بسنام القرآن، وفسطاطه، وسُميت كذلك لبهائها وعظمتها، وكثرة أحكامها ومواعظها، وتُسمى بالزهراء أيضا، وتحتوي على عدة مواضيع منها الإيمان والتوحيد والأخلاق والشرائع والقصص القرآنية والعقيدة وعظمة الله وقدرته وسعة علمه.

وقال أهل التفسير أنها اشتملت على ألف خبر وألف نهي وألف أمر.

قال تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [البقرة : 255.]

جاء في تفسير الزمخشري "وسِعَ كُرْسِيه، أربعة أوجه :أحدها أنّ كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته، وما هوإلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ }

[الزمر:67] من غير تصور قبضة وطي ويمين، وإنما هوتخييل لعظمة شأنه، وتمثيل حسي، ألا ترى إلى قوله : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)والثاني : وسع علمه وسمى العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هوكرسي العالم، والثالث : وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هوكرسي الملك، والرابع ما روي : أنه خلق كرسيا، هوبين يدي العرش دونه السموات والأرض، وهوإلى العرش كأصغر شيء، وعن الحسن : الكرسي هوالعرش..." [1]

وهنا نجد أن الإمام المفسر الزمخشري وظّف مصطلح التخييل ليُبين ويُوضح عظمة شأن الخالق سبحانه وتعالى،واستند في ذلك على آية أخرى من

[1]الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر،الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت احمد عادل عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض،مكتبة العبيكات، ج1، ص 450

سورة الزمر، بينما في تفسير الطبري مثلاً لم يرد مصطلح التخييل في تفسير هذه الآية، اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنه وسع السموات والأرض, فقال بعضهم: هوعلم الله تعالى، ذكر من قال ذلك:حدثنا أبوكريب وسلم بن جنادة, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن مطرف, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس:

سِعَ كُرْسِيّهُ} كرسيه: علمه،وقالآخرون:الكرسي: موضع القدمين،كما أتى في تفسير الإمام الطبري، وذكر من قال ذلك: حدثني عليّ بن مسلم الطوسي, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: ثني أبي, قال: ثني محمد بن جحادة, عن سلمة بن كهيل, عن عمارة بن عمير, عن أبي موسى, قال: الكرسي: موضع القدمين, وله أطيط كأطيط الرحل." [1]

والإمام الطبري هنا في تفسير معنى وسع كرسيه استند على شروحات من الأحاديث النبوية الشريفة،بينما الإمام الزمخشري نفس الآية شرحها على أربعة أوجه كما ذكرنا، (فالإمام الطبري من أهل السنة والزمحشري خالفهم في عدة أمور في علم التفسير لأن مذهبه معتزلي)،أما من ناحية الدرس البلاغيفاستعمال صورة تقديم الكرسي على شكل مفردة مفادها القوة والعظمة يعكس جلال ومكانة كرسي الله وتفرده به على كل شيءواستخدام الاستعارة في وصف الكرسي بأنه يوسع السماوات والأرض يُظهرعظمة وقدرة الله علىخلقه وحفظهم، وكذا التشبيه في وسع كرسي الله بكل شيء في السماوات والأرض ويعكس هنا عظمة وسعة الكرسي وأنه يتسع لجميع الكون .بالتالي، يمكن القول بأن هذه الآية تحمل في طياتها عديداً من جوانب البلاغة والإعجاز في وصف

[1]الطبري،تفسيرجامع البيان عن تأويل القرآنهذّبه و حققه الدكتور بشار عوار معروف،وعصام فارس الحرشاني،المجلد 1،مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر بيروت،ص225

عظمة وقدرة الله وسعة ملكه وعلمه الذي يحيط بكل شيء .ومن هنا نستنتج أن الإمام الزمحشري أتى بالجديد وتحدى تفسيراتٍ سبقته، وتعمق أكثر واهتم بتوظيف علوم اللغة في شرح وتبيان المعاني، والوقوف على الأغراض البلاغية التي حسب تفسيره هي من تقرر وتقرب المعنى أكثر.

2. النموذج الثاني :

هذا النموذج من الآية 17 من سورة البقرة، يُبين قدرة الله سبحانه وتعالى على أن لا نور يعلو نوره،واحتوت على مقارنة في شكل مجازي تُفهم من خلال التّدبر في المعنى وقراءة التفاسير.

قال تعالى{ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ } [سورة البقرة17]:

وجاء في تفسير الكشاف:لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان، ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر - شأن ليس بالخفي في إبراز المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع السورة الجامع الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وقشت في كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء؛قال الله تعالى{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت (42)]، ومن سور الإنجيل سورة الأمثال، والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل، وهوالنظير ؛ يقال : مثل ومثل ومثيل، كشبه، وشبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً ، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن

ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير، فإنما قلت معنى مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ؟، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً؛ حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت : قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام، للحال أوالصفة أوالقصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً، وكذلك قوله مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) [محمد: 10]، أي وفيما قصصنا عليك من العجائب، قصة الجنّة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبها،

لله ِ َّ ِ الْمَثَلُ الأ ْ َعْلَى} (النحل:120) أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة."[1]

وفي هذا المثال تتبين جوانب لغوية وبلاغية، من الناحية اللغويةفي استخدام كلمات معبرة وصورية من خلال المثل لإيصال فكرة اكتساب المعرفة والعلم. كما أنّ الزمخشري يستخدم بنية الجملة وتركيب العبارة بشكل متقن للتعبير عن الفكرة بطريقة فعالة وملهمة.

من الناحية البلاغية، يعكس تفسير الزمخشري للمثل استخدام التشبيه والمجاز لتوضيح مفهوم العلم والمعرفة بطريقة جذابة ومثيرة للاهتمام، كما أنه يستخدم هذا المثل لإبداع صورة بصرية تساعد في فهم الفكرة وإيصالها بشكل أكثر قوة وإقناعًا.

إذن، في هذا التفسير، توجد جوانب لغوية وبلاغية تساهم في إثراء فهم القارئ للفكرة المعبر عنها في المثل.

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا،ج1، ص190

أما في تفسير فخر الدين الرازي لنفس الآية،"فوجدنا مصطلح التشبيه وليس التمثيل،حيث رأى أن التشبيه في هذه الآية في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك النور فوقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين".[1]

نستخلص من هذين الشرحين أنّ فخر الدين الرازي وظّف مصطلح التشبيه،بينما الزمخشري وظّف مصطلحي التخييل والتمثيل،ولو أنّنا ذكرنا سابقا أنّ الزمخشري عرّف التشبيه على انّه أعم و أوسع من التمثيل. فالمفسرين اختلفا هنافي توظيف نوع الصورة البيانية.

3. النموذج الثالث:

في هذا النموذج المستوحى من سورة آل عمران، الآية 36، توضيح لكيفية التّعوذ من الشيطان، والرجوع إلى الله سبحانه في كل الأمور، وسورة آل عمران هيالسورة الثالثة من القرآن الكريم،وهي سورة مدنية، وتُكنى مع سورة البقرة بالزهروان، نزلت في سياق الأحداث التي جرت في ذلك الوقت، بما في ذلك مواجهة المسلمين مع اليهود والمشركين،كما تحتوي السورة على العديد من الأحكام والمواعظ،حيث تناولت أحداثا وتوجيهات وقصصا، ومنها نأخذ العبر، وخاصة القصة المذكورة وهي قصة مريم البتول.

قال تعالى:

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }

[1] يُنظر إلى تفسير الفخر الرازي،(مفاتيح الغيب) مصدرمذكور سابقًا،ج1، ص45

(سورة آل عمران 36): "ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه. وما يروى من الحديث، ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها" فالله أعلم بصحته، فإن صح فمعناه أنّ كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: {لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } [الحجر: 40 ــ 41] واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي: وَيُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ وأما حقيقة المس والنّخس كما يتوهم أهل الحشو فقل، ولوسلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً مما يبلونا به من نخسه."[1]

في هذا المثال من سورة آل عمران يستعمل صاحب الكشاف مصطلح التخييل في تصوير مس الشيطان للإنسان أوللمولود، مستندا على قصة مريم وابنها عليهما السلام، وقد أتى بشعرٍ لابن الرومي كشاهدٍ لغوي في إثبات ما قصده بمصطلح التخييل، علاوة على ذلك، قد تناول الزمخشري أيضًا البعد البلاغي للعبارات المستخدمة في الآية، مثل استخدام المفرد عوضًا عن الجمع أوالعكس، وهذا ما يؤثر على المعنى والإيحاء،وكذا توظيف للفعل "وضعتها"بدلاً من "أنجبتها" يمثل مفهوم الإبداع والخلق بتأثير الله .استخدام الضمير "إنّي"بدلاً من "أنا" يظهر التواضع والانكسار أمام إرادة الله .التشبيه بين إنجاب الإناث وقدرة الله على الخلق والتكوين لإظهار قدرته وعظمته - .استخدام أسلوب إقناعي

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، ج2، ص 548

ومؤثر لإيصال رسالة دينية وفلسفية عميقة عن القضاء والقدر .بهذه الطريقة، يجمع تفسير الزمحشري من الجوانب اللغوية والبلاغية في توظيف اللغة وخلق المعنى العميق والمؤثر في نص العبارة، مما يساهم في إبراز الجمالية اللغوية والبلاغية في النص وإيصال الرسالة بشكل قوي ومؤثر،وهذا ما يمكن تسميته بتأصيل الدرس البلاغي.

في تفسير وشرح نفس الآية،ذكر الإمام الشعراوي في كتابه خواطر حول القرآن:

"أنّ امرأة عمران قالت هذا القول لأنها قد قالت أنها نذرت ما في بطنها محررا لخدمة البيت، أي أنها أرادت ذكرا لخدمة البيت،لكن المولود جاء أنثى، فكأنها قد قالت إن لم أمكن من الوفاء بالنذر فلأن قدرك سبق ،وأنّ قول امرأة عمران والله أعلم بما وضعت هذا ليس إخبارًا بأنها وضعت أنثى ولكنّها تريد أن تظهر التّحسر لأن الغاية من نذرها لم تتحقق." [1]

والمُتأمل في تفسير الإمامين يلاحظ أنّ الزمخشري تعمق وغاص أكثر في تفسيره من الشعراوي، وحتى في توظيف آليات أو أسس التفسير نلاحظ أن صاحب الكشاف يدقق في كل التفاصيل من كلمات ومعان وقراءات عكس صاحب كتاب خواطر حول القران الكريم الذي تعامل تقريبًا مع الآيات البيّنات من خلال الوقوف على معاني و مقاصد القرآن فقط، دون التعمق في شرح علوم اللغة.

[1] محمد متولي الشعراوي، خواطر حول القرآن، قطاع الثقافة والكتب القاهرة،ج1، ص 1277

4. النموذج الرابع :

في هذا النموذج إظهار وتبيان لقوة و جبروت الله سبحانه و تعالى، فهو القادر المقتدر، وهذه الآية من سورة المائدة، وأتت لتحكي عن أحكام الشريعة الإسلامية والتعليمات الدينية،وسُميت كذلك نسبةً إلى المائدة التي ذُكرت في الآية الرابعة، وتناولت قضايا مُتعددة مثل الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، وحُكم الأضحية، ويتميز نمط الخطاب فيها بالوضوح الشديد والجدية التي تعكس قوة ملكوت الخالق سبحانه، وهي سورة مدنية نزلت بعد الهجرة لتُبين التعليمات الدينية والإرشادات المهمة حول أمور الحياة اليومية وحكم الأكل والشرب وغيرها من المسائل.

قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} - [سورة المائدة: 64].

جاء في الكشاف: "غلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولوأعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا: ما أبسط يده بالنوال، لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود، وقد استعملوهما حيث لا

تصح اليدان كقوله تعالى بَسْطُ الْيَدَيْنِ بِالرِّزْقِ وَالْبَخْلُ نَدَاهُ تِلاَ عُه ووهَادُه ، ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله: بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامُهَا ...ويُقال: بسط اليأس كفيه في صدري، فجعلت لليأس الذي هومن المعاني لا من الأعيان كفان . ومن لم ينظر في علم البيان عمى عن تبصر محجّة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به. فإن قلت: قد صح أن لهم يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ عبارة عن البخل، فما تصنع بقُلُوبٌ أَيْدِيهِمْ؟ ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام وزلّ عن سننه؟ قلت: يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد، ومن ثم كانوا أبخل خلق اللهِ وأنكدهم، ونحوه بيت الأشتر:

" بَقِيتُ وفْرِى وانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلاَ ولَقِيتُ أضْيَافِى بِوجْهِ عَبُوسِ " [1]

في الآية الرابعة والستون من سورة المائدة يوظف الزمحشري في بداية شرحه الجانب البلاغي البياني بشرحه للمجاز عن البخل والجود، ويستند على آية أخرى لتفسير هذه الآية، وهي من الآليات التي يستعملها كما ذكرنا سابقًا،ثم يأتي بشعرٍ مما قالته العرب لتقريب وتوضيح المعنى.وهنا يأتي دور المصطلحات التي وظّفها الزمحشري لتأصيل الدرس البلاغي، فهويدرس الكلمة نحويا وصرفيا إذا استوجب الأمر، ويوضح نوع الجملة أيضا، ويقف عند المفردات معجميا ولغويا، فنجده يشرح العطف ويفصل في الصرف ويضبط معاني التقديم والتأخير في الجمل،ويوسع في الغرض البلاغي من تشبيهٍ مهما كان نوعه،أواستعارةٍ أوكنايةٍ أوجازٍ ... ويجدر الإشارة أيضا اعتماده على نزعته وميله الواضح لمذهب المعتزلة، ولا يخفى علينا مستوى صاحب الكشاف سواء لغويا أونحويا أو

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، 2ج، ص 264

بلاغيا،وحتى تاريخيًا من خلال استرجاع أقوال وأشعار العرب وإسقاطها كشاهد لغوي لتقريب وتوضيح المعاني المقصودة.

بينما في تفسير الإمام الطبري، ذكر أنّ الآية نزلت في "منحاص اليهودي" وأنّه قالها، وقولهم يد الله مغلولة إنّما يريدون عن عذابهم واكتفى بتفسير الآية من ناحية المعنى .

وفي نفس الآية قال محمد الطاهر بن عاشور: "عطف على جملة وإذا جاءوكم قالوا آمنا، فانّه لما كان أولئك من اليهود والمنافقين انتقل إلى سوء معتقدهم وخبث طويتهم ليظهر فرط التنافي بين معتقدهم ومعتقد أهل الإسلام، وهذا قول اليهود الصرحاء غير المنافقين فلذلك اسند إلى اسم اليهود ".[1]

وهنا نجد أنّ المُفسر وظّف علوم اللغة من الناحية النحوية كما فعل الزمخشري منتقلا بعد ذلك إلى تفسير المعنى، وهذا ليستقيم الشرح وتفهم الغاية وتوضح مكنونات الآيات.

5. النموذج الخامس :

النموذج الموالي من السور التي احتوت على قصص الأنبياء، و بالتحديد قصة سيدنا موسى عليه السلام، فسورة طه من السور المكية التي نزلت على النبي" صلى الله عليه وسلم" قبل هجرته إلى المدينة،وسُميت كذلك لبدايتها بهذين الحرفين، ونزلت لتقديم الدليل والبرهان على نبوة الرسول،وتحتوي على عدة قصص منها قصة أدم عليه السلام مع الشيطان وقصة موسى عليه السلام مع فرعون وسَحرته، والمُعجزات التي أظهرها الله لنصرة نبيه، قال تعالى:

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ،ج6، تونس 1984، ص249

{قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (66)}

[سورة طه : 65 ، 66]

وجاء في تفسير الزمخشري:"معناه اختر أحد الأمرين إلقاؤك أوإلقاؤنا،وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه، وتواضع له وخفض جناح، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم، وكأن الله عزّ وعلا ألهمهم ذلك، وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقائهم أولاً، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر،ويستنفدوا أقصى طوقهم، ومجهودهم، فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلّط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين، وعبرة بينة للمعتبرين. يقال في {إِذَا} هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت، الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها، خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهوفعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير، فتقدير قوله تعالى{فَإِذَا حِبَالُهُمْ وعصِيُّهُمْ } ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم. وهذا تمثيل. والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي. و قُرأت «عُصيهم» بالضم وهوالأصل بالكسر إتباع ونحو دُليّ وِليّ، قُوسِيّ قِوسِيّ وقُرأت «تخيل» على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال قوله{أَنَّهَا تَسْعَىٰ } من الضمير بدل الاشتمال، كقولك أعجبني زيد كرمه، وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها،وتخيل، بمعنى تتخيل،وطريقه طريق تخيل. وتخيل على أنّ الله تعالى

هوالمخيل للمحنة والابتلاء. يروى أنهم لطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت، فخيلت ذلك..."[1]

في تفسير هذا المثال يظهر لنا أن صاحب الكشاف بيّن طريقة الحوار والتأدب في الكلام حين خُير نبي الله موسى مع بني إسرائيل في من يلقي أولاهبرز ًا أنهم استعملوا معه أدب الكلام والحوار فألهمه سبحانه بأن يكونوا هم من يلقوا أولاً، أما من ناحية التوجيه الصرفي فيظهر من خلال الأفعال المذكورة من ماض ٍ ومضارع وأمر، مثل "ألقى"، "تلقي" و"ألقوا"، فكما نلاحظ فإن صاحب الكشاف له لكل آية فقرة بعنوان اللغة والإعراب،وبيان الأحكام النحوية والأسلوب والتراكيب الفصيحة والمعاني البليغة وأثرها في الجملة لضبط التفسير المراد الوصول إليه،وكل هذا يعكس مستوى الزمحشري الفذ في التعامل مع اللغة، فهومن بين الذين تعمقوا في المعاني،فتقريبًا لا تخلوآية من الآيات وقف عليها من دون توظيف علوم اللغة والغوص في شرحها شكلا ومضموناوخاصة لغوياوبلاغيًا، "وبخصوص الاستعارة التخييلية، فهي أن تذكر مشبهًا به في موضع مشبه وهمي و هي تقدر مشابهته له مع الإفراد في القرينة والذكر."[2]فالاستعارة عند الزمخشري مختصة بالمجاز في المفرد المبني على التشبيه.

وفي نفس الآية لم يأت في تفسير الطبري مصطلح التخييل أو التمثيل حيث يقول:"وفي هذا الكلام متروك وهو فالقوا ما معهم من الحبال والعصي، فإذا حبالهم ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه، وذكر أن السحرة

[1]الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، ج4، ص92
[2]ينظرالتمثيل في الأسلوب القرآني في تفسير الكشّاف، خالد ضو، مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية،المجلد13،العدد27، جامعة الجزائر،(31،12،2021) ص210

سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيل حينئذ إلى موسى أنها تسعى..."[1]

والطبري في تفسير هذه الآية استند على أحاديث نبوية، ووظف علم القراءات أيضا وشرح معاني الكلمات ودلالتها، وهنا نجده والزمخشري على نفس الطريقة في الشرح والتفسير، إلاّ من الناحية البلاغية التي نجد فيها أن الزمخشري اعتمد على مصطلح التخييل والتمثيل مستندا على علوم اللغة الأخرى، حيث كان شرحه وضبطه للمعاني مستوفيا وشاملا.

6. النموذج السادس:

وفي آيةٍ أخرى ذكر الإمام الزمخشري مصطلح التخييل، في تفسير سورة الفتح، وهي سورة مدنية، احتوت على تسعة وعشرون آية، نزلت بعد غزوة الحديبية التي حدثت في السنة السادسة للهجرة، حيث انتصر المسلمون وبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة بيعة الرضوان، وهي عبارة عن عهد بالولاء والطاعة للرسول والالتزام بالإسلام .

وأتى في تفسير الكشاف ما يلي، "قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ

الله ّ فَسَيُؤْتِيهِأَجْرًا عَظِيمًا} [سورة الفتح10]،لما قال إنّما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريق التخييل فقال: يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله التي تعلوأيدي المبايعين: هي يد الله، والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات

[1] الطبري،تفسير جامع البيان عن تأول القرآنهذّ به وحققه الدكتور بشار عوار معروف،وعصام فارس الحرشاني،المجلد 1،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت،ص 314

الأجسام، وإنما المعنى: تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما، كقوله تعالى" :من يطع الرسول فقد أطاع الله.." [النساء: 80] والمراد: بيعة الرضوان فإنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت، وعلى أن لانفر، فما نكث أحد منا البيعة إلاّ جد بن قيس وكان منافقا، اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم. وقرئ:إنّما يبايعون لله) أي: لأجل الله ولوجهه، وقرئ: (ينكث) بضم الكاف وكسرها، وبما عاهد وعهد "فسنؤتيه" بالنون والياء، يقال: وفيت بالعهد وأوفيت به، وهي لغة تهامة. ومنها قوله تعالى" :أوفوا بالعقود "[المائدة: 1] (والموفون بعهدهم) [البقرة: 177]."[1]

وفي هذا المثالوظّفالزمخشري مصطلح التّخييل مُفسرًا الآية العاشرة من سورة الفتح،حيث وضّح أنّ يد الله فوق أيديهم أي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلوأيدي المبايعين،وتعني كلمة "يد الله" بالقوة والجبروت والنصر الذي يأتي من الله. وهي تعبير استعاري يشير إلى القوة والنّصر الذي يحمله من وافق على البيعة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فهوفي الحقيقة يبايع الله بذلك.

في هذا السياق، تكون "يد الله"تعبيرًا عن الدعم والنصر الإلهي للمؤمنين والمخلصين، وأن الله سيعطيهم النصر والمساعدة في طريق الحق وفي التمسك بعهدهم معه .وتظهر أهمية الدرس البلاغي هنا سواء من الناحية البلاغية كما سبق ذكره أومن الناحية النحوية في الإعراب التالي" : يد الله": هنا المبتدأ المؤخر وهومذكور للتوكيد والإظهار،" فوق أيديهم": هنا الخبر المقدم والجملة الفعلية

[1]الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، ج5، ص 537

وهوذكر للحال وهومنصوببالتالي، يتّضح لنا أنّ التوجيه البلاغي في هذه الآية يحمل غاية التوكيد والإظهار على قوة وسلطة الله التي تفوق على قوى البشر . يجدر بدارس كتاب الكشاف للزمخشري أن يشير إلى أن صاحب الكشاف قام بتأثير عظيم في استخدام وتطوير نظرية النّظم اللغوي التي وضعها "الجرجاني". فنظرية النظم اللغوي ترتكز على تصنيف الكلمات والعبارات والجمل في اللغة وتعريف علاقاتها وتنظيمها لإجراء تحليل لغوي أعمق،وقد تبنى الزمخشري هذه النظرية ووظفها في تفسيره وشرحه للقرآن الكريم، استخدمها لتصنيف العبارات وتحديد علاقاتها والتأكيد على هيكل الجمل والمفردات في القرآن، وعمل الزمخشري على تحليل العلاقات الداخلية بين الكلمات والعبارات القرآنية وكيفية تنظيمها بشكل يسهم في فهم أعمق وأدق لمعاني النصوص القرآنية.

بينما أتى في تفسير بن كثير:"...ثم قال تعالى لرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)تشريفا له وتعظيما وتكريما :(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى المبايع بواسطة رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)..."[1].

نجد أنّ ابن كثير لا يتوافق تفسيره مع تفسير الزمخشري في هذه الآية، حيث نجد أن الزمخشري مهتم أكثر بالجانب البلاغي، وذلك من خلال توظيفه لشرح الاستعارة في الآية ومصطلح التخييل، وهذا ما لم يذهب إليه بن كثير في تفسيره، بل تعمق في شرحه من خلال ضبط المعنى المراد من الآية.

7. النموذج السابع:

[1]بن كثير القرشي الدمشقي أبي الفداء اسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم،دار بن حزم للطباعة والنشر،بيروت لبنان ط1،ص418

النموذج الموالي من سورة الدخان، حيث تظهر قوة الله عز و جل، من خلال الرسالة الموجهة لمن كفر و كذّب وعده، وهي سورة مكية، وسُميت كذلك نسبةً إلى الحادثة التي ذُكرت في هذه السورة، وهي أنّ الدّفوس ستتنفس بإذن الله تعالى، وسبب النزول يعود إلى رغبة قوم فرعون في إيهام الناس بأنهم يمتلكون قوى سحرية، وبأنّهم قادرون على فعل المعجزات وتحدوا نبي الله موسى عليه السلام.

قال تعالى: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} [الدخان 28، 29]

أتى في كتاب الكشاف ما يلي..." كَذلِكَ الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها أَوَرَثْناها، أوفي موضع الرفع على الأمر كذلك قوماً آخَرِينَ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء، وهم بنوإسرائيل: كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم، فأهلكهم الله على أيديهم، وأورثهم ملكهم وديارهم. إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، وبكته الريح، وأظلمت له الشمس. وفي حديث رسول الله : «ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض «وقال جرير :تبكى عليك نجوم اللّيل والقمرا،وقالت الخارجية :أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنّك لم تجزع على ابن طريف،وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه، وكذلك ما يروى عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: من بكاء مصلى المؤمن، وآثاره في الأرض، ومصاعد عمله، ومهابط رزقه في السماء: تمثيل، ونفى ذلك عنهم لفي تعالى فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده: فيقال فيه: بكت عليه

السماء والأرض. وعن الحسن: فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون، بل كانوا بهلاكهم مسرورين، يعنى: فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض وما كانُوا مُنْظَرِينَ لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر، ولم يمهلوا إلى الآخرة، بل عجل لهم في الدنيا."[1]

استهلّ صاحب الكشاف شرح هذه الآية بتوجيه نحوي تمثل في ضبط الكلمات إعرابيًا، ثم وظّف ما قالته العرب كشاهد لتأكيد المعنى المراد الوصول إليه،منتهيًا عند معنى التخييل والتمثيل والغرض منهما .فالزمخشري في هذا المثال لا يفسر الآيات مباشرةً، بل يمهد لذلك من الجانب النحوي،ثم الإتيان بالشاهد من أشعار العرب وأقوالهم، ثم يوظف علمي البيان والمعاني لضبط المعنى وتحديده،وهنا تكمن أهمية التأصيل للدرس البلاغي من خلال ما نستنبطه من قواعد نحوية وشروحات بلاغية تخدم اللغة العربية، فالزمخشري أتاح للقارئ فهم الآية من عدة نواحي،وبهذا يتحقق التفسير وتستوضح معاني القرآن الكريم.

بينما نجد أن تفسير محمد بن جرير الطبري يستهله عمومًا بكلمة "حدثني؛" وهو بذلك يستند على الأحاديث النبوية الشريفة، ولم يوظف ما وظّفه الزمخشري من استعارة وتشبيه تخييلي وتمثيل، وغيرها من الصور البلاغية التي يراها صاحب الكشاف لبنة أساسية للوصول إلى المعنى الحقيقي للآيات.

وعليه، نلاحظ أنّ الزمخشري يميل كثيرا في تفسيره إلى علوم اللغة وخاصة الجانب النحوي والبلاغي، فكما وضحنا في المثال، يقف الزمخشري على الكلمة من الوجه الصرفي والاشتقاقي والمعجمي، شارحا إياها في السياق وخارجه.

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، ج5، ص 470،471

8. النموذج الثامن:

النّموذج الآتي تمثل في الحوار القُرآني، من سورة ق، وهي سورة مكية، احتوت على 45آية، وسُميت كذلك لأنّها تبدأ بحروف متقطعة، وورد في تفسير الطبري وغيره أنّها نزلت في مرحلة متأخرة من الدعوة النبوية .

تحثّ سورة ق المؤمنين على الصبر والاستمرار في الجهاد وحماية دينهم.

قال تعالى :{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ}

[سورة ق 30]

جاء في الكشاف: قرئ: نقول، بالنون والياء. وعن سعيد بن جبير: يوم يقول الله لجهنم. وعن ابن مسعود والحسن: يقال:وانتصاب اليوم بظلام أوبمضمر، نحو: أذكر وأنذر. ويجوز أن ينتصب بنفخ، كأنّه قيل:ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم. وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول، ولا يقدّر حذف المضاف. وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به المعنى في القلب وتثبيته، وفيه معنيان، أحدهما: أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها، لقولهلأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ ."والثاني:أنّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد. ويجوز أن يقول مِنْ مَزِيدٍ استكثارا للداخلين فيها واستبعادًا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم .أوطلبا للزيادة غيظا على العصاة. والمزيد :إمّا مصدر كالمحيد والمميد، وإمّا اسم مفعول كالمبيع..."[1]

[1]الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، ج5، ص 601

من الناحية البلاغية، تظهر هذه الآية كعنصر من عناصر التهديد والتخويف من العذاب الأبدي فيجهنّم، وتستخدم البلاغة في توجيه الرسالة بشكل قوي ومؤثر على السامعين .فيظهر جليا استخدام الكلمات والعبارات بشكل متقن لنقل المعنى المراد بشكل قوي وواضح، على سبيل المثال، في استخدام النفيين "هل" و"هل"، واستخدام الكلمات "امتلأت" و"مزيد"، يتم توجيه النص بشكل دقيق لنقل الرسالة .أمّا صرفيا،فيظهر في اختيار الأفعال والأساليب الصرفية بشكل يعزز فعالية النص ويجذب انتباه القارئ. على سبيل المثال، استخدام السؤال والنفي في نفس الجملة، يضيف توترا وقوة إلى النص.

ونفس الآية فسرها "القرطبي" : "قرأها بن مسعود يوم يقال وانتصب يوم على معنى ما يبدل القول لدي يوم. وقيل بفعل مقدر معناه وانذرهم يوم نقول لجهنم...(وتقول هل من مزيد)، وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره، والتحقيق لوعده، والتقريع لأعدائه، والتنبيه لجميع عباده..."[1]

9. النّموذج التاسع:

النموذج الآتي يصف الله سبحانه شجرة الزّقّوم، وورد ذلك في سورة الصّافات، وهي سورة مكية، وسُميت كذلك نسبةً إلى الصّافات التي ذُكرت في أول آية من السورة، وهي الملائكة الصفوف التي تحيط بالمؤمنين والكافرين. نزلت لتوحيد الله وإثبات قدرته وعظمته وتحذير الكافرين من عقاب الله، كما احتوت على بعض قصص الأنبياء ومعاناتهم مع قومهم.

[1] القرطبي،أبي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر:الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و أي الفرقان،تح الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي،ج1، ط1،1427ه، مؤسسة الرسالة للطبع ، بيروت ،ص720

قال تعالى :

أَذَ ٰ لِكَ {خَيْرٌ نُّزُلا مَّ أَشَجَرَةُ الزَّقُّومِا (62) ذَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّـالِمِينَ (63)
ذَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) هَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65)}

[سورة الصافات :(62 ، 65)]

جاء في الكشاف " : ومعلوم أنّه لا خير في شجرة الزّقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم (فِتْنَةً لِّلظَّـالِمِينَ) محنة وعذاباً لهم في الآخرة. أوابتلاء لهم في الدنيا، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر، فكذبوا. وقرئ: «نابتة في أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ } قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها: والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها: إما استعارة لفظية، أومعنوية، وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقح المنظر؛ لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شرّ محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوره المصورون: جاؤا بصورته على أقبح ما يقدر، فشبّهوا به الصورة الحسنة، قال تعالى:{قلن حاشَ لله ما هذاإِشْرَاهَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم} (يوسف31)، وهذا تشبيه تخييلى، ويشير إلى هذا اللون من التشبيه في قوله تعالىقُلْ{ أَنَدْعُومِنِ اللهِ وَمَا لاَ يَنْفَعُنَاوَلاَ ذُرَدُّ عَلَىٰأَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِيٱسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُإِلَى الْهُدَى ائْتِنَاقُلْ إِنَّ هدى الله هو الهدى وأمرنا لنُسلمَ لربّ العالمين}(الأنعام 71)، يقول: «كالذي ذهبت به مردة الجن الغيلان فى الأرض المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع وهذا مبنى

على ما على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوى الإنسان، والغيلان تستولي عليه كقوله: {الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ...}،(البقرة 275)،وهذه صورة لها تأثيرها القوى في النّفوس وكذلك كل تشبيه يبنى على هذا اللون من الاعتقاد. وهذا يشبه من وجه حكايات «الندّاهة» في القصص الشّعبيوله قيمة بيانية بليغة، ثم إنّ له أصلا من الحقيقة وهوأنّ الرجل يصيبه دوار من هم ألمّ به حتى ليتخيل صوتًا يدعوه فيتبعه حتى يهلك به." [1]ـ ذكر الزمحشري هنا مصطلح التشبيه التخييلي، وهوما يكون المشبه به أمرا له وجود في طباع الناس من غير أن تقع عليه حواسهم ـيرجع الزمحشريتفسيره في استعمال التشبيه التخييلي إلى الرغبة في تحليل الجزئيات والوقوف عند المفردات، وهذا الميل نتاج الدراسة اللغوية والنحوية، إذأنّ هذين اللونين من الدراسة يكوّنان في الدارس ميلا شديدا إلى التدقيق والوقوف عند الجزئيات، منهج فيفهم التّراكيبكما لم يغفل صاحب الكشاف عن تفسير الآية بآيات أخر، فهويدرك يقينًا أنّ القرآن يفسر بعضه،فذكر الآية فالأخرى شارحًا الصورة الفنية التي يستخلصها من الآية المراد تفسيرها. فإذا أردنا مقارنة تفسير الزمحشري مع تفسيرٍ قبله، وجدنا أنا الذين سبقوه لم يغوصوا ويتعمقوا في المعاني كما فعل هو، والدليل ما شنّه "ابن المنير" من هجومات شرسة وانتقادات صريحة،خاصةً في مصطلحي التخييل والتمثيل، "وأورد ذلك الإمام الطاهر بن عاشور في رسالته (أليس الصُبحُ بقريب)، في كلامه عن تأخر علم الكلام..."[2]وفي نفس تفسير هذه الآية، ذكر بن جرير الطبري :" (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) تبشيع لها وتكريه لذكرها، قال وهب بن منبه: شعور الشياطين قائمة إلى السماء وإنما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم

[1]الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، ج5، ص 280

[2]يُنظر إلى رسالة الطاهر بن عاشور: "أليس الصبح بقريب،دار السلام للطباعة و النشر،تونس ط1،2006،ص181

تكن معروفة عند المخاطبينلأنّه قد استقرّ في النّفوس أنّ الشياطين قبيحة المنظر، وقيل بذلك ضرب من الحيّات رؤوسها بشعة المنظر..وإنّما يمثل الشيء بالشيء تعريفًا من الممثل له الشيئين كليهما، أو إحدهما "[1] . القارئ لتفسير الطبري لهذه الآية يلاحظ توافقه مع تفسير الزمخشري من ناحية التوجيه البلاغي، ولو أنّ الطبري في شرحه وظّف مصطلح التمثيل،أي تمثيل الشيء بالشيء، بينما الزمخشري أتى بمصطلح التمثيل والتخييل معا، شارحًا صورة من صور التّشبيه التخييلي كما ذكرنا سابقا.

* <u>المبحث الثاني</u>:دراسة تحليلية نموذجية لمصطلح التمثيل:

ضربُ الأمثال زيادة في الكشف وتتميم للبيان،والعرب تضرب الأمثال في كلامها، والعلماء يستحضرون المثل والنظائر، وفي هذا إبراز لخبايا المعاني،

[1] الطبري: (تفسير الطبري)،مذكور سابقا، ص580

ورفع الأستار عن الحقائق، فيكون الغائب كأنه مشاهد، والمتخيل في صورة المحقق، وقد أكثر الله في كتابه المبين أمثاله، وفشت الأمثال أيضا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء؛ قال تعالى{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ }(العنكبوت43)،والمفسر الإمام الزمخشري في كتابه الكشّاف وقف على مصطلح التمثيل وهذه نماذج منه.

1. النموذج الأول:

ركّز المفسر الزمخشري في تفسيره لسورة البقرة وغيرها على الجوانب اللغوية، وتعمّق فيها للوقوف على المعاني والغوص في مكنوناتها. كما أنّه شرح الألفاظ والأساليب البلاغية والتصويرات البيانية، فهو يقدم تفسيره لسورة البقرة بطريقة علمية وعميقة، تجعل دارس تفسيره يبحر في علوم اللغة .ومثال ذلك ما أتى به في تفسير الآية 17 من سورة البقرة:

قال تعالى{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ }(البقرة: 17).

فقد استعير مثل الذي استوقد نارا استعارة على حال المنافقين، لمناسبة الصفة أوالحال أوالقصة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا، وكذلك قوله{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ }(محمد : 15)؛ أي: وفيما قصصنا عليك من العجائب: قصة الجنة العجيبة، وأخذ في بيان عجائبها، وكذلك قوله : مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ [الفتح: 29] بمعنى صفتهم وشأنهم المتعجب منه، فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد ؟ قلت: وضع "الذي" موضع "الذين"، كقوله تعالى: {وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خاضوا }(التوبة : 69)والذي سوّغ وضع الذي موضع الذين أنّ جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواووالنون. وإنّما ذاك علامة لزيادة الدلالة فسائر

الموصولات لفظ الواحد والجمع فيهن واحد، فربما قصد جنس المستوقدين، أوأراد الفوج الذي استوقد نارا، فلم يشبه ذوات المنافقين بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد، إنّما شبّه قصّتهم بقصة المستوقد، وذلك كقوله تعالى: مَثَلُ{الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}(الجمعة:5)، وقوله تعالى أيضا{فَنَظَرُ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [محمد : 20]".[1]

وأمّا إفراد الضمير وجمعه في : "حوله"، "نورهم"، "تركهم"، فللحمل على اللفظ تارةً ، وتارةً على المعنى، وأسند الفعل إلى الله تعالى فَيَذْهَبُ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ،لأن النّار إذا طفئت بسبب سماوي ريح أومطر، فقد طفأها الله تعالى، وإمّا أن تكون نارًا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام،وإمّا نارًا حقيقية أوقدوها ليستضيئوا بها في بعض العبث والمعاصي، فأطفأها الله وخيب أمانيهم، وقال "بنورهم "، ولم يقل: ذهب الله بضوئهم؛ لأن ذكر النور أبلغ، فالضوء فيه دلالة على الزيادة، فلوقيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يُسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا !.[2]

في هذه الآية ضرب لنا الزمحشري مثالاً عن التمثيل في القرآن الكريم وأثره البلاغي،مُستندًا على آيات أخرى من الذكر الحكيم في تفسيره،مستخرجا الاستعارةوالتّشبيه وأثرهما في إبراز المعنى الحقيقي،مبينًا الفرق بين استعمال الكلمة في مفردها وجمعها والفرق بينهما .

---

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا، ج1، ص190

[2] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا ،ج1 ص191

نستخلص من هذا المثال أنّ الزمخشري أصّل للدرس البلاغي من حيث استعماله لعلوم اللغة وقواعدها، فالإمام يوظف مصطلح التمثيل لإعطاء المعنى عمقًا،وجذب وإثارة وتحفيز القارئ، وهوبذلك يُثري النّص ويُكسبه تأملات وحلاوةً في فهم معانيه.

أما المفسر الطبري في تفسير الآية نفسها أتى بما يلي :

"قال أبو جعفر فإن قال لنا قائل: وكيف قيل(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) وقد بيّن أنّ الهاء والميم من قوله مثلهم كناية جماع- من الرجال أو الرجال والنساء – والذي له دلالة واحد من الذكور، فكيف جعل الخبر عن واحد مثلا لجماعة، وهلا ّ قيل: مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارا، وإن جاز عندك أن تمثل الجماعة بالواحد، فتجيز لقائل رأى جماعة من الرجال فأعجبته صورهم وتمام خلقهم، أن يقول كأن هؤلاء، أو كأن أجسام هؤلاء نخلة ."[1]

وهنا يرى المفسر الطبري أنّ الموضع الذي مثّل ربُنا جلّ ثناؤه جماعة من المنافقين بالواحد الذي جعله لأفعالهم مثلا، فجائز حسن، فهو بهذا يشرحُ حالة من حالات استخدام موضع الجماعة بالفرد، و موضع الإفراد بالجماعة، فعموما نجد توافق في التفسيرين من خلال توظيف علوم اللغة، و الوقوف على تفاصيلها.

2. النموذج الثاني:

يتناولُ الزمخشري مصطلح التمثيل في تفسيره، ووقف عنده في آيات مختلفة من الذكر الحكيم، بما يتناسب مع موضوع النص الشريف، والآية 19 من سورة البقرة كمثال على ذلك:

[1] مصدر مذكور سابقا، تفسير الطبري ص122

قال تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ } [البقرة: 19]؛ يقول صاحب الكشاف:

"...شبّه في التمثيل الأول المنافق بالمستوقد نارا، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وشبّه انقطاع انتفاعه بانطفاء النار، وشبّه في التمثيل الثاني دين الإسلام بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وشبّه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الفتن والفزع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق،والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا، فإن قلت: وهذا تشبيه أشياء بأشياء لم يصرح فيه بالمشبهات كما في قوله تعالى :{وما يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلاَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيءُ} [غافر : 58]، لكن هنا جاء ذكره مطويا على سبيل الاستعارة، كقوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [فاطر: 12]، وقوله: {مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ}(الزمر : 29)،والتمثيلان كلاهما من جملة التمثيلات المركبة، فلا يُفرّق كل واحد ويقدر شبهه بمثله، وقد كانت العرب تأخذ أشياء فرادى، معزولة من بعضها، فتشبهها بنظائرها، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تلاصقت وتضامت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها، فكذلك شبّه وقوع المنافقين في الحيرة والدهشة بضلالتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من

طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق ".[1]

يوظّف الزمخشري في تفسيره عدة آليات لأجل الوصول إلى المعنى العميق من خلال : شرح الكلمات، كالصيب وهوكثير الأمطار،والرعد الصوت الذي يأتي من السحاب،والبرق الذي يلمع من السماء برق الشيء بريقاً إذا لمع،وعلوم اللغة كالاستعارة والتشبيه، حيث شبّه السحاب برجل صدق وعده على طريق المكنية والصدق والوعد تخييل،والجانب الصرفي مثل صيّب فيعل من صاب يصوب، إذا نزل مائلاً إلى جهة، كسيد من ساد يسود،والتعريف والتنكير وأثرهما في المعنى مثل تنكير صيب؛ لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل، كما نكّرت النار في التمثيل الأول، وقرى كصائب، والصيب أبلغ والسماء هذه المظلة، "والصيب لا يكون إلا من السماء؟ قلت : الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، والاشتهاد بأشعار العرب كذلك، لما فيها من دقة اللغة وجزالة الألفاظ، كما أن الشعر هوديوان العرب.

بينما المُتأمل في تفسير ابن كثير يجد تشابها من خلال طريقة الشرح وتأويل الآيات للوصول إلى المعنى، فكلاهما وظّفا في تفسير الآية آيات أخرى، وكلاهما يشرحالكلمة لغةً واصطلاحًا، واستندا على الجانب البلاغي من خلال الوقُوف على الصورة البيانية وشرحها وتبيان الغرض منها.

إلاّ أنّ صاحب الكشّاف في توظيفه لمصطلح التمثيل كان أكثر عمقًا وشرحًا من ابن كثير.

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا ج1 ص 202

3. النموذج الثالث:

النموذج الآتي يتمثلُ في تقريع القُرآن للشيطان، في سياق حواري بين الله عزّ و جل والشيطان ومناصبته العداء للإنسان، وورد ذلك في سورة الإسراء، وهي سورة مكية، أتت في الجزء الخامس عشر من الذكر الحكيم، تُلقب بسورة بني إسرائيل، وذلك لأن معظم آياتها تحدثت عن إفسادهم في الأرض وعتوهم فيها، وقد تميزت آياتها بالطول النسبي،وبسط الفكرة، والدعوة إلى التّحلي بالآداب ومكارم الأخلاق.

قال تعالى:{وَمَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}

(سورة الإسراء : 64)

ورد في في الكشاف ما يلي: "استفزه:استخفّه والفز الخفيف، وأَجاب من الجلبة وهي الصياح،والخيل : الخيالة، ومنه قول النبي يا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي،والرجل: اسم جمع للراجل، ونظيره الركب والصحب وقرئ: ورجلك؛ على أن فعلاً بمعنى: فاعل، نحو: تعب وتاعب، ومعناه وجمعك الرجل، وتضم جيمه -أيضاً - فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس،وأخوات لهما، يقال : رجل رجل، وقرى ورجالك، ورجالك،فإن قلت ما معنى: استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله؟ قلت: هوكلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم، وقيل: بصوته: بدعائه إلى الشر، وخيله ورجله: كل راكب وماش من أهل العيث،وقيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال، وأما المشاركة في الأموال

والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما، كالربا والمكاسب المحرمة، والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة، والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام، ودعوى ولد بغير سبب، والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث، والتهويد والتنصير، والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة، وغير ذلك، وعِدُهُمْ : المواعيد الكاذبة، من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة...."[1]

في هذا المثال نلاحظ أن صاحب الكشاف شرح الأفعال من ناحية المعنى والصيغة أيضا، وضبط معنى الاستفزاز، شارحًا توظيفه لمصطلح التّمثيل من خلال وسوسة الشيطان واستفزازه للإنسان،والقارئلكتاب الكشّاف وتمعنه في الشرح يدرك أنّ الزمخشري له أسلوب خاص في التعامل مع الآية من ناحية اللغة والمعنى، فالآليات التي ارتكز عليها ليست نفسها التي وظّفها الطبري مثلا،في نفس الآية نجده ارتكز في شرحه وتفسيره على الأحاديث النبوية فقط، وقد جاء في كتابه جامع البيان عن تأويل القرآن" : حدثنا أبوكريب، قال : ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله (واستفزز من استطعت منهم بصوتك)قال : باللهووالغناء...". [2]

يرتكز الإمامالطبري على آليات التفسير المُتعارف عليها، و خاصةً الأحاديث النّبوية الشريفة، وكذا استخدام علوم اللغة للوصول إلى المعاني القرآنية دون الغوص أو التّعمق فيها كثيرًا، بينماصاحب الكشّاف يوظفها وبالأخص الجانب البلاغي منها، الذي يخدم الدّرس اللغويويُسهمُ في إثرائه.

---

[1]الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا ،ج3 ص 531

[2]الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(تفسيرهَذَاالطَبَرِي)حَقَّقَهُ وَضَبَطَ نَصَّهُ وَعَلَق عَلَيْهِ الدكتور بشار عواد و معروف عصام فارس الحرشاني،مؤسسة الرسالة،ط1، 1415ه،ص420

4. النموذج الرابع:

النموذج الآتي يتمثل في ضرب الأمثال من سورة الروم، وهي سورة مكية، نزلت بعد سورة الانشقاق، من أبرز موضوعاتها، الإخبار عن الغيب، والوعد بالنّصر للمؤمنين، وذكر مشاهد من يوم القيامة، ومن أسباب النزول، أنّ المشركون جادلوا المسلمين قبل أن يهاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيقولون: الروم يشهدون أنّهم أهل الكتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنتم تزعمون أنّكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب، فسنغلبهم كما غلب فارس الروم. فأنزل الله الآية .

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }(سورة الروم : 28).

جاء في الكشاف "فإن قلت : أي فرق بين الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى: مِنْ أَنفسكُمْ ،ومن ما ملكت أيمانكُممن شُرَكَاء ؟ قلت : الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد، والثانية للتبعيض، والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم،وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد، أن يشارككم بعضهم في ما رَزَقْنَكُم من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء، من غير تفصلةبين حر وعبد تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم، وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم، فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء؟ كَذَلِكَ أي مثل هذا التفصيل تفصلُ الآيات أي نبينها، لأنّ التمثيل مما يكشف

المعاني ويوضحها ؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها، ألا ترى كيف صوّر الشرك بالصورة المشوهة ؟".[1]

المتأمل في شرح هذه الآية من تفسير الزمخشري، يلاحظ أدّه وضّح الأساليب والمقصود من توظيفها، فمثلا توظيف أسلوب الاستفهام كان غرضه تأكيد النفي، كما نجد أيضا الطباق بين حر وعبد وبين لترضوا وترضون، إلى أن وصل إلى مفهوم التمثيل الذي يراه صاحب الكّشاف في هذه الآية بمنزلة التصوير والتشكيل،وعند الإطّلاع على تفسير الطاهر بن عاشور، نجده قد وظّف كلمات ومصطلحات كان قد وظّفها الزمخشري، كالتبعيض مثلا والصورة التمثيلية، يقول طاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية " :أُتبع ضرب المثل لإمكان إعادة الخلق عَقِبَ دليل بدئه بضربِ مثل لإبطال الشرك عقب دليليه المتقدمين في قوله تعالى { يُخرج الحي من الميت } [الروم : 19] وقوله { ويحيي الأرض بعد موتها} (الروم : 19)، لينتظم الدليل على هذين الأصلين المهمين: أصل الوحدانية،وأصل البعث،وينكشف بالتمثيل والتقريب بعد نهوضه بدليل العقل . والخطاب للمشركين، وضرب المثل: إيقاعه ووضعه،وعليه فانتصاب {مثلاً } على المفعول به، أوأُراد بضربه جعله ضرباً أي مِثْلاً ونظيراً ،وعليه فانتصاب { مثلاً } على المفعولية المطلقة لأن {مَثَلاً } حينئذ يرادف ضرباً مصدر ضربَ بهذا المعنى . وقد تقدم عند قوله تعالى {إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما } في سورة البقرة (26)،واللام في لكم لام التعليل،أي ضرب مثلاً لأجلكم، أي لأجل إفهامكم .و{مِن } في قوله { من ما ملكت أيمانكم } تبعيضية،و{مِن } في قوله {مِن شركاء } زائدة مؤكدة لمعنى النفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري .

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا ج4،ص576

فالجمع بين هذه الحروف في كلام واحد من قبيل الجناس التام،وجملة { تخافونهم } في موضع الحال من ضمير الفاعل في { سواء } والخوف: انفعال نفساني ينشأ من توقع إصابة مكروه يبقى،وهوهنا التوقي من التفريط في حظوظهم من الأرزاق وليس هوالرعب بقرينة قوله { كخيفتكم أنفسكم} أي كما تتوقون أنفسكم من إضاعة حقوقكم عندهم،والأنفس الثاني بمعنى: أنفس الذين لهم شركاء ممّا ملكت أيمانهم من المخاطبين لأنّهم بعض المخاطبين،وهذا المثل تشبيه هيئة مركبة بهيئة مركبة؛ شُبهت الهيئة المنتزعة من زعم المشركين أنّ الأصنام شركاء لله في التّصرف ودافعون عن أوليائهم ما يريده الله من تسلط عقاب أونحوه، إذ زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله وهم مع ذلك يعترفون بأنها مخلوقة لله فإنهم يقولون في تلبيتهم :لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هولك".[1]

وهنا نلاحظ أن ابن عاشور وظّف علوم اللغة كالجناس والنحووالإعراب جملاً وكلمات، وشرح معاني الكلمات كشرحه للخوف وهوانفعال نفساني،والاشتقاق مثل ضرب ضربًا والبلاغة كشرحه للتشبيه الذي جاء في صورة تشبيه صورة مركبة بصورة مركبة أخرى،واستشهد في تفسيره بآيات أخرى من الذكر الحكيم،وصولا إلى ضبط المعنى بعد كل ما ذكرنا.

5. النموذج الخامس:

النموذج الآتي تمثل في القصص القُرآني، الخاص بسيدنا داود عليه السلام وما جرى له مع الملكين الذين تصوّرا محرابه، وهو نموذج من سورة ص، وهي سورة مكية، والسور المكية تُعالج قضية التّوحيد، وقضية الوحي، وقضية

[1]محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،الجزء الرابع، الدار التونسية للنشر،ص 520

الحساب في الآخرة، كما أنّها تحتوي على قصص في ثناياها لفتة تلمس القلب البشري، وتوقظه إلى الحق الكامن في قوة ملكوته سبحانه وتعالى.

قال تعالى:{إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}(سورة ص،23)

جاء في الكشاف: "أخي بدل من هذا، أوخبر لـ «إنّ»، والمراد أخوة الدين، وأخوة الصداقة والألفة، أوأخوة الشركة والخلطة؛ لقوله تعالى: {إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ} (ص: 24)، كل واحدة من هذه الأخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم،وقرئ: تسع وتسعون»، بفتح التاء،ونعجةبكسر النون، وهذا من اختلاف اللغات نحونطع ونطع، لَوَقْوَةٌ لِقَوْوَةٌ ،أكفلنيها ملكنيها وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي،{وَعَزَّنِي وغلبني، يقال: عزه يعزه، قال من قطا الْفَوَازِّ هَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَعَلِقَ الْجَنَاحُ ،يريد: جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به وأراد بالخطاب: مخاطبة المحاج المجادل، أوأراد خطبت المرأة وخطبها هوفخاطبني خطاباً، أي: غالبني في الخطبة فغلبني؛ حيث زوجها دوني وقرى وعازني من المعازة وهي المغالبة،وقرأ أبوحيوة وعزّ ني بتخفيف الزاي طلباً للخفة، وهوتخفيف غريب، وكأنّه قاسه على نحو: ظلت، ومست، فإن قلت: ما معنى ذكر النعاج؟ قلت: كأنّ تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً؛ لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ؛ لما ذكرنا، وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه، فيكني عنه كما يكنى عما يستسمح الإفصاح به، وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته، ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه، وحاجه في ذلك

محاجة حريص على بلوغ مراده، والدليل عليه قوله: (إن كَثِيرًا من الخلطاء) (ص: 24)،وإنّما خصّ هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة، فإن قلت: إنّما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال، فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم، قلت: الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة، كما استعاروا لها الشاة ."[1]

وقف صاحب الكشاف على شرح الكلمات من ناحية المعنى والإشتقاق، ومن ناحية النحووالصرف نجد مثلا:"هَٰذَا" اسم إشارة مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة "أخي" مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء "له" ضمير متصل في محل جر بالاضافة "قَالَ" فعل ماض مبني على الفتح "اكْفِلْنِيهَا" فعل أمر والجملة الافتتاحية "هَٰذَا أَخِي" هي جملة اسمية مركبة مؤكدة، وهي تعبر عن تقديم معلومة،ويأتي بعدها جملة فعلية "قَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ" تعبر عن الطلب والموقف الذي حدثبلاغيا، تمثل هذه الآية عبرة أخلاقية في الإيثار والتضحية والعدل في التعامل مع الآخرين، من خلال التمثيل الذي كان أبلغ لأن الغرض منه التوبيخ، فقد وظّف الزمخشري في تفسيره لهذه الآية جملة من الآليات البلاغية، نذكر منها التمثيل، والاستعارة حيث جعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة.

وظّف أيضًا علم القراءات لما فيه ضبط للمعاني، فوعيه العلمي باللغة وخاصة البلاغة جعل وعيه يمتد للاستشهاد بأشعار العرب في تفسيره، إيمانًا منهبأنّ الشعر ديوان العرب، ولتقريب المسألة والتعمق في معاني الآيات.

[1] الزمخشري:الكشّاف، مذكور سابقا ،ج5 ص 255

بينما في تفسير نفس الآية، "نجد أن الطبري استهل تفسيره بقصة عن داود عليه السلام، ثم وظّف علم القراءات، ثم استند على أحاديث نبوية، شارحًا في ذلك الكلمات، مستعملا لفظة (حدثني)."[1]بينما يستخدم الزمخشري أسلوب "الفنقلة" لغاية تعليمية حجاجية يتوخّى من خلالها مناقشة المواقف المفتَرَضة.

ولم يقف الطبري في تفسيره لهذه الآية على مصطلح التمثيل كما فعل الزمخشري.

استطاع الزمخشري توظيف المصطلح البلاغي في تفسيره للقرآن، وبالأخص "التخييل والتمثيل"، فأسلوبه وتوغّله وإتقانه لعلوم اللغة، وآليات التفسير الأخرى، كانت واضحة في مختلف النماذج التي وقفت عندها.

إستنتاج:

من خلال وقوفنا على دراسةتحليلية لنماذج من التّخييل والتمثيل في كتاب الكشّاف للزمخشري، الذي يعتبر من أمهّات كتب التفاسير، نخلص إلى أنّ صاحب الكشّاف كان مقنعًا في طريقة توظيفه لهذين المصطلحين، فهو لم يُوظفهما مباشرةً، بل مهّد لهما بطريقته الخاصة، حيث كان يقوم بشرح الكلمات من ناحيةالمعنى والاشتقاق وحتّى السياق في بعض الأحيان، مستندًا في ذلك على القراءات القرآنية، وأشعار العرب أمثالها، وعلوم اللغة العربية كالصرف والنّحو، وخاصةً البلاغة.

وبهذا يكون الزمخشري قد أسّس للدرس البلاغي، وأبحر في علم التفسير وخاصةً الجانب البلاغي، فتوظيفه لمصطلحي التخييل والتمثيل كانا

[1]ينظر إلى تفسير الطبري، (مصدر سابق)،ط1،ج20،تفسيرسورة (ص)،ص56

بالنسبة له أداة منهجية ضرورية لفهم القرآن، فهو يرى أنّ التخييل يُحرر النّص من الفهم السطحي، ويعدّه شرطًا أساسيًا لفهم معاني القرآن وتعاطي تأويله، كما أثبت الزمخشري أنّ التّشبيه أعم من التمثيل، ووضّح ذلك في عدّة أمثلة كنّا قد وقفنا عليها، وعليه يمكن القول أنّه المقاربة التّي قدّمها الزمخشري لهذين المصطلحين،أسهمت بشكل كبير في تسهيل حل الكثير من المعضلات التي تعرقلُ عملية الوصول إلى فهم مستقيم للنّص القرآني.

خاتمة:

يعدّ الزمخشري في حدود اطلاعنا سبّقًا إلى توظيف مصطلحي التخييل والتمثيل في تفسير القرآن الكريم، وقد أقنع في ذلك إلى حدّ كبير بما تشبّع منه من آراء ومواقف بلاغية من شتى المشارب التي أفاد منها.

وعليه قامت دراستي على الاطلاع على أهمية هذين المصطلحين في بناء المادة التفسيرية لدى الزمخشري التي استطاع أن يوسّع دائرتها المعرفية، من خلال ترسيخالبعد البلاغي الذي أخذ به الكثير ممن جاء بعدهعبر الوقوف على نماذج من التخييل والتمثيل، انطلاقًا من كتاب لكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ومن خلالها توصلت إلى مجموعة من النّتائج:

- ✓ أهمية المصطلح البلاغي ودوره في علم التفسير، وفضله في تأصيل الدرس البلاغي من خلال كتاب الكشّاف.
- ✓ قيمة الكشّاف من خلال احتوائه على الظواهر اللغوية، ومعاني الألفاظ، والجانب الدّلالي، والتوجيهات النحوية والصرفيةوالبلاغية، وقد شكلت عدّةعوّل عليها في تفسيره ذي الطابع البلاغي.
- ✓ الدور المهم لمصطلحي التخييل والتمثيل في تفسير الآيات وتقريب المعنى، والذي يعكس حسّا بيانيا عاليا لدى الزمخشري مكنه من الوقوف على مكنونات الخطاب القرآني.
- ✓ التخييل والتمثيل مصطلحانبيانيانوُظفا لرفع الحجاب وكشف المعنى عن الغرض المطلوب، وقد استطاع الزمخشري أن يراعي خصوصيتهما القرآنية التي تتميّز عن لغة الشعر.

✓ وبهذا يمكن عدّ اجتهاده التفسيري الذي شرّعه على تخوم البلاغة من خلال مصطلحي التخييل والتمثيل محاولة رائدة في النهوض بالدرس البلاغي لا سيما ما تعلّق بالمنحى التطبيقي منه وهذا ما يبرّر إدراج هذا التفسير لدى الداسين مصدرا من مصادر البلاغة.

الملاحق

1. نبذة عن الزمخشري:

هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، كنيتهأبو القاسم، اشتهر بـ (جار الله) لمجاورته مكة المكرمة.

ولد بزمخشر في السابع والعشرين من رجب سنة 467 هـ، وتوفي في جرجانيه سنة 538 هـ.

كان محباً للعلم أفرغ شطراً كبيراً من حياته ، أخذ علمه عن كثير من الشيوخ، أشهرهم: (أبو مضر محمود بن جرير الصبي الأصبهاني ت 507 هـ الذي

لقب بفريد العصر ووحيد الدهر في اللغة والنحو)

وتتلمذ له - أي الزمخشري - عدد من طلاب العلم، أشهرهم (أبو الحسن علي بن محمد بن هارون العمراني الخوارزمي ت 560هـ الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ).

اعتنق المذهبالاعتزالي وكان متظاهراً به متعصباً له، يذكر صاحب

وفيات الأعيان ذلك عنه، إذ يقول: كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد، متظاهراً

باعتزاله، حتى نقل عنه:أنه كان إذا قصد صاحباً له وأستأذن عليه في الدخول يقول لمنيأخذ له الإذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب.

أشهر مؤلفاته:نال الزمخشري مكانة علمية رفيعة حتى صار علماً من أعلام

اللغة، فضلاً عن كونه إمام المفسرين. وما ذلك إلا بسبب حبه للعرب والعربية

وهو القائل: (الله أحمد أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعربوالعصبية.ألفّ الزمخشري مؤلفات كثيرة، وأشهرها: الكشاف - موضوع البحث- والمفصل في علم العربية، وأساس البلاغة، والفائق في غريب الحديث والأثر، والمحاجاة بالمسائل النحوية، وله ديوان شعري.

2. نبذة عن كتاب الكشاف:

من أشهر كتب الزمخشري إن لم يكن أشهرها جميعاً، كتبه بمكة المكرمة في مدة قاربت سنتين ونصف"وكان معجباً به حتى قال فيه:

التفاسير فِيِّ الدُّنيا بلا عَدَدٍ وَ لَيْسَ فِيهِ لَعَمْرِي مِثْلَ كَشَافِي

إن كُنتَ تَبْغِي الهُدى فَالزِم قراءَتَهُ فَالْجَهْلُ كَالدَاءِ وَ الكشاف كَالشَّافِي

سبب تأليفه: أوضح الزمخشري في مقدمة كتابه (الكشاف) سبب تأليفه، إذ يقول: «ولقدرأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربيةوالأصول الدينية، كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب، واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك، حتى اجتمعوا إلى مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن (حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدينوعلماء العدل والتوحيد....)

قيمته: اشتهر الزمخشري بكشافه حتى عرف به وقيل عنه (صاحب الكشاف)، ولعل السبب في ذلك سعود إلى ما حواه هذا التفسير من علوم شتّى كالبلاغة والأدب والفقه والقراءات واللغة والنحو واهتم العلماء بالكشاف اهتماماً كبيراً ووقفوا معه وقفات متعددة، فوصفوا محاسنه وجوانب نبوغ صاحبه فيه،

على الرغم من الاعتزاليات التياحتواها، وتجاوزات الزمخشري فيه على بعض الفرق.

ويقول ابن خلدون (ت 808 هـ) في مدح (الكشاف) لاشتماله على فن البيان:وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه - أي عن فن البيان حتى ظهر جار الله الزمخشري

ووضع كتابه في التفسير وتتبع أي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه،فانفرد بها الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدعومن المفسرين من نقل عن الكشاف الكثير من الآراء في التفسير واللغة، ومن هؤلاء الرازي (ت 606 هـ) والبيضاوي (ت 685 هـ) وأبو حيان.

أمّا المحدثون فقد تناولوا هذا التفسير بالبحث والدراسة، من ذلك دراسة الجوانب البلاغية والنحوية والصرفية فيه، ومنهج صاحبه في تفسير القرآن وبيان إعجازه

فضلاً عن بعض الفصول التي حوت عليها دراسات عن الزمخشري وعن غيره.

ويُعد هذا التفسير حتى الآن المبحث التفسيري الوحيد ... الذي يعرض لبلاغة القرآن على نطاق علمي واسع.

مكتبة البحث:

- أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع:

أ - المعاجم العربية:

1-أحمد مطلوب:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون بيروت،إعادة الطبع 2008.

2-إيميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد النحوالشعرية،بيروت، لبنان، ط1، 1992.

3-جمال مراد حلمي وآخرون: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004م.

4-السيد الشريف علي الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 1413م.

5-ابنمنظور أبوالفضل جمال الدين محمد مكرم:لسان العرب، دار الحديث القاهرة، المجلد الثالث.

ب - المصادر والمراجع:

1-جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، الحمراء، بيروت، 1992.

2-جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو،ضبطه وقدم له وعلق على حواشية أحمد سليم الحمصي واحمد القاسم، ط1، جروس برس، 1988.

3-حازم القرطجني: منهاج البلغاء وسراج الادباء،الدار العربية للكتاب، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة تونس، فيفري 2008م.

4-الرمانيأبي الحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن،عني بتصحيحه الدكتور عبد العليم مكتبة الجامعة الملية الاسلامية دلهي 1934.

5-الزمخشري " أبوالقاسم محمود بن عمر":

-أساس البلاغة، تح: عبدالكريم محمود دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

-الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تح: أحمد عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكات، الرياض، 1998م.

6-الدكتور عبد السلام يوسف: استاذ مساعد فيكليةالعلوم الإسلامية،جامعة ماردين ارتيكلو، كتاب علم التفسير تاريخه وأصوله ومناهجه، 1442هـ،2020م.

7-السيد أحمد هاشمي:مقدمة جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،تح يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 1990.

8-الشعراوي، كتاب تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، مصر.

9-شفيع السيد:البحث البلاغي عند العرب،دار الفكر العربية الإسكندرية، مصر، د. ط، د. ت.

10-شكري عياد: ترجمةفن الشعر، دار الكتاب العرب، القاهرة، 1987.

11-شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ (تعريف البلاغة عند بن المقفع)، دار المعارف، كورنيش النيل القاهرة، ط9.

12-الطبري:جامع البيان عن تأويل القرآن،تفسير الطبري،هذّبه وحققه الدكتور بشار عوار معروف،وعصام فارس الحرشاني،المجلد 1، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر. بيروت، 1415هـ.

13-عثمان موافي: في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في الأدب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ط 1، 2012م.

14-عِزت محمد جاد:نظرية المصطلح النقدي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م.
15-علي آيت أوشان: التخييل الشعري في الفلسفة الإسلامية، الفرابي ابن سينا ابن رشد، دار الأرشيف الاسلامي،إتحاد الكتاب، المغرب، 2004م.

16-عبدالعزيز عتيق: تاريخ البلاغة العربية،استاذ بجامعة بيروت،دار النهضة العربية.

17-بن عيسى بالطاهر:البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات،دار الكتاب الجديدة، ط1، 2008.

18-القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي: تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد صبحي بن حسن والدكتور محمد الأطرش، المجلد 1، دار الرشيد للنشر دمشق، مؤسسة الإيمان بيروت لبنان، ط 1، 1421ه.

19-عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1.

20-الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشهر بخطيب:تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب،٥٤٤ ٦٠٤ هـ الجزء الأول،دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع،لبنان بيروت، ط1.

21-محمد الطاهر بن عاشور:

-تفسير التحرير والتنوير، الجزء السابع والعشرون، الدار التونسية للنشر، 1984م.

-مقاصد الشريعة الإسلامية – تح: حاتم بوسمحة، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011.

22-محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة ثانية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت1997.

ج - **المجلات والرسائل الجامعية:**

1- عبد السلام الحربي: الشواهد الشعرية في كتاب أسرار البلاغة، توثيق وتحليل بلاغي، رسالة ماجيستر الجامعة الإسلامية كلية اللغة العربية.

2- فايزة دفاس: عبد القاهر الجرجاني،المصطلح البلاغي في أسرار البلاغة،مذكرة تخرج ماستر 2015، اشراف الأستاذ حسن زرمان، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر.

3- الدكتور عبد اللطيف حني: طرق تعليمية علوم البلاغة وأثرها في المهارات اللغوية للمتعلم بين الواقع والمأمول، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الجزائر.

4-محمود سليم محمد هياجنة1ك مصطلح التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني، استاذ الأدب والنقد جامعة شقراء،حولية طلبة اللغة العربية بالمنوفية العدد 35، إصدار يونيو2020.

5-يحيى بن حمزة العلوي: مجلة تاريخ العلوم،العدد الرابع، الشاهد البلاغي في كتاب الإيجاز، جامعة عنابة، الجزائر.

6-يحيى عبد الرؤوف جبر: مجلة الأبحاث للنجاح،المجلد 2،الشواهد اللغوية، 1992.

الفهرس

شكر وعرفان .....ج

إهداء: ..... د

مقدمـــة: .....أ

مدخـل: ماهية البلاغة العربية، وظيفتها، وقضاياها. 1

الفصل الأول: 4

ضبط المصطلحات والمفاهيم.....4

* تمهيد: 5

* المبحث الأول: المصطلح البلاغي بين القداما والمعاصرين: 5

* المبحث الثاني: الشاهد اللغوي لغة واصطلاحا. 8

* المبحث الثالث: المصطلح البلاغي لغة واصطلاحا. 12

* المبحث الرابع: التفسير 14

* المبحث الخامس: تفاسير القدامى والمعاصرين البلاغية: 17

1- نبدة عن المفسرين القدامى وأمثلة عن تفسيراتهم: 17

1.1. الإمام البيضاوي:.....18

2.1. مثال عن تفسير الإمام البيضاوي: 19

3.1. فخر الدين الرازي: 21

4.1. مثال عن تفسير الإمام فخر الدين الرازي: 22

2- نبدة عن المفسرين المعاصرين وأمثلة عن تفسيراتهم: 24

1.2.طاهر بن عاشور: 24

2.2. مثال عن تفسير الإمام المفسر طاهر بن عاشور: 25

3.2. محمد متولي الشعراوي: 26

*** المبحث السادس: مصطلحا التخييل والتمثيل:**.....29

1التخييل: 29

2.1. التخييل اصطلاحا: 31

2.التمثيل: 37

الفصل الثاني: 43

* تمهيد: 44

* المبحث الأول: دراسة تحليلية نموذجية لمصطلح التخييل:..... 44
* المبحث الثاني: دراسة تحليلية نموذجية لمصطلح التمثيل: 66
إستنتاج:.....79
خاتمة: 81

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المصطلح البلاغي، وأثره في تأصيل الدرس البلاغي، وبالتّحديد دراسة تحليلية من نماذج مصطلحا التخييل والتمثيل في كتاب الكشاف للزمخشري، فقد وظّفهما كآليات للتفسير واعتمد عليهما في توضيح معاني ومكنونات القرآن الكريم، من خلال توضيح الفرق بينهما وبين التشبيه والاستعارة التخييلية، وما إلى ذلك من صور بيانية.

الكلمات المفتاحية: المصطلح البلاغي، التخييل، التمثيل.

Summary :

This study aims to shed light on the rhetorical term and its impact on the foundation of rhetoric,specifically through an analytical study of the concept of imagination and representation in Al-Kachaf book by Al- Zamakhchari.

The author used them us tools for interpretation and relied on them to clarify the meanings and nuances of the Quran, by expalaining the diffirences between them and simile metaphor and other rhetorical devices .

Keywords :rhetorical term, imagination, representation.